

قسطنطين زريق
مفكراً ومؤرخاً

عنوان الكتاب : قسطنطين زريق مفكراً ومؤرخاً

الكاتب : عيسى فتوح

سلسلة الكتاب الشهري (كتاب الجيب) رقم/121 / تموز

الناشر : اتحاد الكتاب العرب

الإخراج الفني : وفاء الساطي

الحقوق كافة
محفوظة
لاتحاد الكتاب العرب

البريد الإلكتروني: aru@net.sy

موقع اتحاد الكتاب العرب على شبكة الإنترنت
<http://www.awu.sy>

قسطنطين زريق
مفكراً ومؤرخاً
(1909- 2000)

تأليف: عيسى فتوح

تقديم

الدكتور قسطنطين قيصر زريق مفكر، ومؤرخ، ومحقق، ودبلوماسي، وأكاديمي، وباحث سوري معروف في قضايا الفكر العربي المعاصر والقومية العربية، وعلم كبير من أعلام القرن العشرين.

ولد الدكتور زريق في الثامن عشر من شهر نيسان (إبريل) عام 1909 في دمشق في أسرة أرثوذكسية مسيحية متوسطة الحال، تعمل في التجارة، وقد هاجر والده إلى "كولومبيا" في أميركا الجنوبية، ثم عاد إلى دمشق، حيث تزوج ورزق أربعة أولاد أكبرهم "قسطنطين"، ثم عاد الوالد إلى كولومبيا سنة 1923، حيث توفى هناك بعد سنة من وصوله.

نشأ في أسرة تسكن بيتاً دمشقياً قرب الكنيسة الأرثوذكسية الكبرى "المريمية" والمجاورة لأحد الأحياء

الإسلامية ، وقد عرفت هذه الأسرة بعدم تعصبها وبتسامحها الديني ، وميلها إلى التعاون مع أتباع الديانات السماوية الأخرى.

عاش مع أهله في إحدى الدور الدمشقية القديمة الواسعة المجاورة لأحياء المسلمين الذين كان يلتقيهم يومياً ، فأبعدته هذه البيئة المنفتحة والمتحررة عن التعصب الديني.

تلقي دراسته الابتدائية والإعدادية والثانوية في المدرسة الأرثوذكسية "الآسية" التي كانت وما تزال تتمتع بأجواء ديمقراطية متحررة ، وتتميز بنزعة وطنية ، ويؤمها كل سنة منذ تأسيسها حتى اليوم ، عدد كبير من الطلاب المسلمين.

حين أنهى دراسته الثانوية عام 1924 أرسله البطريرك غريغوريوس حداد (1859 – 1928) – الذي كان يلقب بـ "بطريرك العرب" – ليدرس على نفقته في الجامعة الأميركية في بيروت ، نظراً لتفوقه ومهارته ، فبدأ بدراسة الرياضيات ، ثم تولى عنها ، واتجه نحو التاريخ ، وفي عام 1928 نال شهادة البكالوريوس بامتياز ، ولم يكن قد بلغ العشرين من عمره ، ثم سافر إلى الولايات المتحدة الأميركية لمتابعة

دراسته، فنال شهادة الماجستير من جامعة شيكاغو عام 1929، ثم شهادة الدكتوراه في التاريخ من جامعة برنستون عام 1930، حيث درس على الدكتور فيليب حنّي (1886 – 1978).

حين عاد إلى وطنه، عُيّن أستاذاً مساعداً، ثم أستاذاً مشاركاً في التاريخ بجامعة بيروت الأميركية من عام 1930 حتى عام 1945، وقد أتيح له في هذه الفترة أن يدرس تاريخ الأمة العربية، ويحيط بعوامل نهوضها، ويطلع على بواعث انهيارها وركودها وجمود تفكيرها، بعد أن قدمت للإنسانية أعظم الإنجازات في العلم والأدب والفكر والفن والفلسفة والطب.

لقد خرج من دراساته وأبحاثه ومقالاته ومحاضراته بآراء سديدة وناضجة... وهي مقالات ومحاضرات جمعها سنة 1939 في كتاب بعنوان "الوعي القومي"، عرض فيه الوسائل التي تعزز نهضتنا القومية، ورأى أنها لا تستكمل شروطها، وتؤتي أكلها إلا إذا نهجت ثلاثة مناهج:

الأول: بناء الأساس الفكري الذي تقوم عليه نهضتنا القومية، أي بدرس غاياتها ووسائلها، وتحديد معنى الأمة

والقومية، وإثبات خصائص الأمة العربية ومميزاتها، وإظهار مقامها الفريد بين الأمم، والنصيب الذي كان لها في الماضي، والذي يرجى لها في المستقبل، في تقدم التمدين والحضارة البشرية، أو بكلمة أخرى: إنشاء فلسفة قومية، شاملة، واضحة، منتظمة.

الثاني: أن تُعصر هذه الفلسفة في فكرة مقطرة نقية، صافية، يبشّر بها أبناء الأمة، وتتحد بعاطفتهم المتوثبة، وشعورهم الفياض، فيحصل من هذا المزيج "عقيدة قومية"، وأخيراً يتحد العاملون في الحقل القومي.

الثالث: المجاهدة لتنظيم الأمة العربية، وضبط نوازعها، وإخضاع شهواتها للإرادة الوحيدة المتبقية في "العقيدة القومية".

على هذه الأركان الثلاثة: الفلسفة القومية، والعقيدة القومية، والتنظيم القومي، تقوم كل نهضة صحيحة، وإليها يجب أن يوجّه العرب جهودهم المخلصة في هذا الدور التأسيسي في حياتهم الجديدة.

لقد كتب الدكتور زريق في نطاق هذه المناهج وإطاراتها واسعة المدى الكثير من الأبحاث والمقالات عن الأمة العربية: عن ماضيها وحاضرها المحفوف بالمكاره، والمخاطر، موجهاً الجيل الجديد توجيهاً قومياً سليماً، يقوم على أسس علمية، وفلسفة واقعية، لبناء مستقبل مشرق. كذلك حاضر في النوادي والجمعيات الأدبية والثقافية، في القضايا والمشكلات التي تواجه الأمة العربية ومراحل تطورها منذ مطلع القرن الثامن عشر حتى اليوم، ولا سيما في الفترات التي أعقبت الحرب العالمية الثانية... وقد كان لأرائه السديدة صدى واسع في الأوساط الثقافية لأنها صادرة عن إنسان حرّ الفكر، يريد لأمته أن لا تكون مغمضة العينين في مواجهة الواقع، وأن تسير على أسس صحيحة، وقواعد سليمة لئلا تتعثر وتقع في المزالق.

حين جلا المستعمر الفرنسي عن سورية في السابع عشر من نيسان سنة 1946، وتألّفت أول حكومة وطنية فيها، اختير الدكتور قسطنطين زريق ليكون مستشاراً أول

للمفوضية السورية في واشنطن، ثم ممثلاً لسورية في هيئة الأمم المتحدة، ثم مجلس الأمن الدولي بين سنتي 1946 - 1947، في هذه الفترة ترك عمله الجامعي، وقام بهذه المهمة الوطنية الحساسة خير قيام، وقد أعطى للأميركيين وغيرهم أجمل صورة عن مواهب السوريين حين يمارسون تبعات الاستقلال، ويضطلعون بأعباء العمل الدبلوماسي.

بعد أن أنهى مهمته الدبلوماسية، عاد إلى الوطن، فعمل أستاذاً للتاريخ في الجامعة الأميركية في بيروت، ثم نائباً لرئيس الجامعة، مع احتفاظه بعمله أستاذاً للتاريخ، وكان هذا المنصب لا يشغله إلا الأميركيون، وهو إن دلّ على شيء، فإنه يدل على الثقة الكبيرة التي يتمتع بها، والمكانة العلمية المرموقة التي كان يحتلها في الأوساط الجامعية والعلمية.

و حين فكرت سورية بتنظيم جامعتها على أسس ومناهج صحيحة، استدعته عام 1949 وعينته رئيساً للجامعة السورية، فتسلم مقدراتها، وظل يدير شؤونها حتى عام 1952 وقد استطاع خلال هذه المدة أن يغير الكثير من المناهج.

بعد أن أنهى المهمة التي كُلف بها ، وهي رئاسة الجامعة السورية ، عاد إلى الجامعة الأميركية في بيروت ، فشغل منصب نائب رئيس ، ثم رئيس لها بالوكالة بين عامي 1954 - 1957 .

لقد شغلته المناصب الإدارية عن البحث العلمي الذي كان شغله الشاغل ، وهدفه الأول ، ولذلك ما إن ترك العمل الإداري في الجامعة ، حتى أخذ يكتب ويحاضر وينشر أبحاثه ودراساته الرصينة في عدد من المجالات العربية والأجنبية ، فأصدر بعد كتابه الهام "الوعي القومي" ، كتابه "معنى النكبة" الذي حلل فيه تحليلاً نفسياً ، عوامل نكبة فلسطين عام 1948 ، فراج الكتاب رواجاً منقطع النظير ، وأعيد طبعه أكثر من مرة ، ونقله إلى الإنكليزية الأستاذ "بيلي رايندر" ، كما أصدر بعده كتاب "أي غدٍ؟" وهو مجموعة أبحاث تدور حول تبعات المفكر العربي والمجتمع التقدمي ، وموقف العرب من الثقافة الحديثة ، إضافة إلى وضع خطوط واضحة لثقافة عربية أفضل ، تنبثق من صميم الشعب ، وتتجاوب مع حاجات المجتمع ، وتقوم على احترام

الحقيقة... ثقافة متأصلة في ماضيها الإيجابي مشاركة في الحضارة الإنسانية، وبهذه الثقافة يتكوّن المجتمع العربي الفعّال، القادر على البقاء، الباقي فعلاً في الإرث الإنساني المشترك، المجتمع العربي الأفضل.

لم يكن نشاط الدكتور قسطنطين زريق يهدأ، فلا يكاد يمر عام أو عامان حتى يتجمع لديه الكثير من المقالات والمحاضرات والدروس، فيجمعها في كتاب، لا ينأى مضمونه عن الواقع العربي على ضوء التطورات العالمية، ومدى الأبعاد التي تفصلنا عن هذه التطورات، فيغمز، ويوضّح، ويصرّح، ويضع النقاط على الحروف، وتتضح آرائه أكثر فأكثر في كتبه الثلاثة: "نحن والتاريخ"، و"في هذا العصر المتفجّر"، و"في معركة الحضارة"، فهو يتابع التطورات بنزعة المؤرخ، وحدث المفكر المؤمن الذي يريد لأمته أن تستكمل جميع عناصر حياتها، لتجاري الأمم المتطورة في سيرها...

في كتاب "أي غد؟" يضع القضية العربية على أساس مصري... وفي كتاب "نحن والتاريخ" يحلل موقف الأمة

العربية من ماضيها وتاريخها ، وأثر هذا الموقف في حاضرها ومستقبلها ، فهو يهدف إلى أن تكون علاقتنا بالتاريخ علاقة تفاعل إيجابي مستمر ، وأن تكون تحدياته لنا حافزاً مستثيراً ، وردنا عليه رفيعاً مبدعاً ، وأن يتمكن العرب في هذا الظرف الدقيق من حياتهم ، أن يردّوا على تحديه الضخم الخطير ، بأصفي ما نمتلك من فكر ، وأنفذ ما نقدر عليه من عمل ، وأروع ما نحن أهلّ له من خلق وإبداع .

وفي كتاب " في معركة الحضارة " تكلم عن ماهية الحضارة وشروطها ، وصورها ومظاهرها ، ومقوماتها ، وعن مقاييس الحضرة وصور التقدم ، والوضع الحضاري المعاصر من جهة سماته البارزة ومنجزاته وإمكاناته ومفارقاته ونقائصه ، وخرج من كل هذه الأبحاث ليحدد موقف الأمة العربية من الركب الحضاري ، وهو موقف يجعلها وثيقة الارتباط شخصياً وقومياً وإنسانياً بموكب الحضارة .

إنه يريد من الأمة العربية أن تثور ثورة عقلية ، تجتث كل ما يعوق سيرها . " ثورة تختلف كل الاختلاف عن أي ثورة أخرى ، بصفات وميزات مستمدة من طبيعة العقل ذاته ،

فهي تبغي الحقيقة أولاً، وتوقن أن أي كسب منها يفوق كل كسبٍ آخر". وأن أي بناء يقام على غير أساسها، لا بد من أن يعتريه الوهن والفساد، فيتخلخل وينهار.

إن "الثورة العقلية" في نظره هي الضمانة الضابطة لأي ثورة أخرى، وبها تدرك أن مشكلتها الأولى هي التخلف الحضاري، وبها تقدم على محاسبة ذاتها، وتحنّ إلى التحضّر، وتؤمن بالحقيقة والعقل، وتتطلع إلى المستقبل، وتتفتح للخير من حيثما أتى، وتولّد قدراتها الإنتاجية، وتحقق إمكاناتها البشرية، وتضبط ثورتها السياسية والاقتصادية والاجتماعية... إنها إن سلكت هذا الطريق بلغت، في اعتقاده، سبل السلامة والنصر في المعركة الأم: ألا وهي معركة الحضارة... إن جميع أبحاث الدكتور زريق تدور حول معالجة مشكلاتنا القومية والخلقية والاجتماعية، وهو صريح في معالجة هذه المشكلات، يدرس الأسباب والعلل، ويقترح الحلول العملية، ليبصر النشء العربي بالواجبات الملقاة على عاتقه في غده المليء بالمخاوف والأخطار.

لقد ظل الدكتور قسطنطين زريق حتى آخر يوم في حياته منخرطاً في مواجهة فكرية ضد التخلف والانحطاط، وغياب الحريات، وكان يفضّل استعمال مصطلح "المجتمع العربي" على مصطلح "الوطن العربي" لأن القومية العربية بحسب رأيه، لم تكتمل، فالبلاد العربية التي تتكلم العربية، والمتجاورة في الجغرافية، والتي تشترك في الكثير من المصالح الاقتصادية والاجتماعية، ليست عربية من وجهة النظر القومية الصحيحة، فتلك العناصر هي استعدادات، ولكي تتحقق يجب الخروج من الممكن إلى الواقع، وبما أن المجتمع العربي يفتقر إلى القوى السياسية التي تعمل على إخراج المجتمع العربي من الممكن إلى الواقع، فيصبح الكلام على الوطن العربي غير صحيح، ووظيفة القومية العربية هي نقل الممكن إلى واقع.

إن القومية عند قسطنطين زريق ليست سرمدية، أي أنها لم تكن موجودة في التاريخ، وهي غير موجودة اليوم، بل يجب إيجادها. إنها اليقظة في أدق تعبير عن النهوض الفكري والاجتماعي والعلمي والفني للمجتمع العربي.

لقد كان الدكتور زريق واحداً من أهم وأشهر المفكرين العرب المعاصرين الذين كرّسوا حياتهم لدراسة الفكر العربي المعاصر والقومية العربية، والحضارة العربية، وكان مصير الأمة العربية يأتي في طليعة اهتماماته، كما أن العروبة الحضارية النيرة المشرقة المواكبة لروح العصر، كانت شاغله الأول، وكان في طليعة الداعين إلى الحوار بين الحضارات، والمنفتحين الذين لا يعرفون التوقع، ولا يؤخذون بالمظاهر أو القشور، بل كان يذهب إلى اللبّ والجوهر، فالعقل عنده هو السيد المطلق.

لقد ظل أكثر من نصف قرن يبحث ويؤلف، ويعلم، ويحاضر ويكتب، وكان في كل ما ألف وكتب ينحو منحى العالم المتجرّد، الساعي إلى معرفة الحقيقة، وينظر إلى الأحداث بعين العقل والعلم، وليس بعين الهوى والمصلحة. اهتم بالقومية العربية والتاريخ، وكان ينظر إلى الحضارة ككل، أي حضارة البشرية كلها، وقد درس في كتابه "في معركة الحضارة" - كما ذكرنا من قبل -

ماهية الحضارة وأحوالها وواقعها، وتطورها في مجرى التاريخ البشري، واستعرض آراء العديد من كبار العلماء والفلاسفة والمؤرخين بدءاً بابن خلدون (1332 – 1400) ميلادية، وانتهاءً بالمؤرخ البريطاني أرنولد توينبي (1889 – 1975).

كما درس في هذا الكتاب القيم واقع الأمة العربية، ورأى أن معركة الشعوب العربية هي معركة حضارية في الدرجة الأولى، وأن أهم مشكلة تواجه العالم العربي اليوم هي مشكلة التخلف، ويتمثل هذا التخلف، في نظره، في ضالة سيادتنا على الطبيعة، وضعفنا في استغلال مواردنا، وفي هزال تنظيمنا الاقتصادي والاجتماعي، أي في ضيق قدرتنا التقنية بوجه عام، ويتمثل كذلك في ما لا نزال نخضع له من صنوف التحكم الخارجي، والاستغلال الداخلي.

ويرى في كتابه "في معركة الحضارة" أيضاً أن مشكلة المسيحيين العرب - بصفتهم أقلية في المجتمع العربي الذي تنتمي أكثريته إلى الإسلام - هي مشكلة تشترك في

مسئوليتها الأثرية والأقلية معاً، ولا يمكن أن تحل حلاً جذرياً إلا بتحوّلات جذرية في الجانبين معاً، وأن في مقدمة هذه التحوّلات في الجانبين، الإقبال على بناء مجتمع قومي على أساس مصلحة الشعب، ومنجزات العلم والحضارة، والمساواة القانونية والعملية بين المواطنين، والعدالة بين فئاتهم وطبقاتهم، والتحوّل من "تسييس" الدين إلى تقصّي جوهره الروحي، فالدين رابطة حيّة بين الإنسان وخالقه، ومنبع فضائل ترقّي كيانه، وتغني عطاءه الوطني والحضاري.

ويرى أن الانسجام المطلوب في المجتمع العربي الجديد، الذي على أساسه وحده يمكن أن تُبنى قومية صحيحة، لا ينفي التعدّدية، ولكنه يستبدل بالتعدّدية الطائفية، تعدّدية التوجهات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والفكرية، في جو من الحرية السليمة، والديمقراطية الشاملة. وأنه على الأقلية أن تؤمن بأن سلامتها وحيويتها لا تضمنان بحامية من الخارج، بل بتقوية مناعتها الذاتية، وتمتين جذورها في مجتمعها، وإغناء عطائها.

ويرى أيضاً أن تسارع التغيير، واندفاع قواه الدينامية، ماضيان في تبديل المفاهيم الفكرية ونظم الحياة وأشكالها، وفي خلق مستقبل إنساني تختلف مقوماته ومشكلاته عن مقومات الحاضر والماضي ومشكلاتهما، وتتجاوز تحدياته عقليات الماضي والحاضر، وتتطلب عقلية تخترق آفاقه، وتقتحم مخاطره ببصيرة نيّرة، وجرأة وثّابة، فألى أي حدّ قد أصبحنا، أو نعد أنفسنا لأن نصبح من أبناء المستقبل؟ ذلك هو السؤال.

ويرى أن على العرب أن يؤمنوا بأن سلامة مصيرهم، هو في ما يحققون ويمثلون من تحضّر ذاتي إنساني، وأنهم إذا صبّوا جهودهم على ارتقاء مراتب هذا التحضر، ضاقت الانقسامات الناشبة بينهم، والتي يُغذيها ويوسع دائرتها تخلفهم المشترك، فالمعركة الرئيسة ليست فيما بينهم، بل بينهم وبين التخلف الذي يضمهم كلهم جميعاً، والذي تتبعث منه عللهم.

ويعتقد أخيراً بأن مشكلات الحاضر – بل المشكلات الجديدة التي سيأتي بها المستقبل – لا تحل بعصا سحرية، أو

بمعالجة ظاهرية أو متتدة، بل بنضال ثائر ملتزم مشترك،
وبأن قيمة كل منا - كمسلمين ومسيحيين - تتوقف على
طهارة الثورية، وصدق الالتزام، وسخاء المشاركة.

بقي أن نقول: إن الأفكار التي طرحها الدكتور زريق
حول موضوع الأقليات المسيحية في الدول العربية، هي
أفكار هامة لمستقبل الأمة العربية ومستقبل توحيدها،
والعلاقة بين الدين والقومية هي علاقة قائمة، وليست
محصورة في البلدان العربية وحدها، والمشكلة الأساسية
هي: كيف نوفق بين الاثنين: أي بين الدين والقومية؟

وهل هو شرط أن تُبنى القوميات على الدين؟ أو أن قيام
دولة إسرائيل العنصرية هو النموذج والمثال؟!

إن أهم الالتباسات والتداخلات التي قامت في الماضي،
والتي لا تزال قائمة في الحاضر، هو الالتباس بين المفهوم
القومي العربي والمفهوم الإسلامي أو بين الأمة العربية والأمة
الإسلامية، لا شك في أن الإسلام هو دين الكثرة الغالبة من
العرب - كما ذكرنا من قبل - وهو العنصر الرئيس في

الحضارة العربية الموروثة، فلا يمكن أن نتصور كياناً جديداً للعرب منفصلاً عنه، أو واهي الصلة به ومع ذلك لا بد من تحديد مفهوم واضح للعلاقة بين العروبة والإسلام، ذلك أن الخلط بينهما يؤدي إلى مشكلتين أساسيتين: الأولى هي مشكلة الأقليات غير الإسلامية في المجتمع العربي، وهي أقليات لها جذورها العميقة في التاريخ العربي، ولها إسهامها الفاعل في بناء الحضارة العربية قديماً وحديثاً.

إن هذه الأقليات لن تُقبل اليوم على العروبة، إلا في إطار مفهوم قومي يتضمن، في ما يتضمن، المساواة المبدئية التامة بين جميع المنتمين إليها، التي تتيح لهم أن يشاركوا في وطن منسجم واحد.

قد يقال إنه ليس من حق الأقلية أن تقف في وجه الأكثرية، وأن تفرض نظرتها عليها، وهذه حجة قائمة ومقبولة في مجتمع ديمقراطي، ولكنها تتطلب من جانب الأكثرية أن تعلن موقفها بصراحة ودون غموض أو لبس، وأن تفهم عندئذٍ انكماش الأقلية عن الانتماء للعروبة، وإصرارها على توصل ما يحفظ لها حرية اعتقادها فكراً

وممارسة، دون التتكرّر للمصلحة العربية أو الاستتصار بأعدائها، وهذا يقودنا إلى المشكلة الأساسية الثانية، ولعلها أشد من الأولى خطورة وأصالة، وهي تتعلق بالأكثرية الإسلامية ذاتها، وبالمجتمع عامة، أي التناقض بين المفهوم القومي والمفهوم الثيوقراطي، فكلّ من هذين المفهومين جوهره ونهجه، ولا بدّ من اختيار أحدهما، وتحمل المسؤولية الناجمة عن هذا الاختيار، ولا خير في التآرجح بينهما، أو لباس أحدهما لباس الآخر.

وما دمنا نتحدث عن الوحدة العربية، فالمفترض أننا نعني وحدة قومية، وما لم يتضح هذا المفهوم، ويثبت عند الأكثرية المسؤولية الناجمة عنه، فإن الخطأ نحو الوحدة ستبقى مبلبلة ومتعنّرة، وغير مجارية لمقتضيات الحاضر والمستقبل.

إن الأفكار التي طرحها الدكتور زريق حول موضوع الأقليات المسيحية في الدول العربية، هي أفكار هامة لمستقبل الأمة العربية، ومستقبل توحيدها، والعلاقة بين الدين والقومية هي علاقة قائمة، وليست محصورة في

البلدان العربية وحدها ، والمشكلة الأساسية هي : كيف
نوفق بين الدين والقومية ؟

لقد طرح الدكتور قسطنطين زريق في كتابه "الوعي القومي" موضوعاً حساساً هو الدين، فقال: "منا من يربط قوميته بدين خاص من الأديان السماوية، فيطغى في نفسه الشعور الطائفي على الفكرة القومية، ومنا من يجعل القومية والدين متناقضين أصلاً، فيدعو إلى محاربة الدين وأهله لبناء صرح القومية على أنقاضها، ودون هذا وذاك ألوان في التفكير، وضروب من الأهواء لا تدخل تحت عدو أو حصر، وكل ذلك راجع إلى قلة تمييزنا بين الروح الدينية والعصبية الطائفية، فالقومية الحقيقية لا يمكنها بحال من الأحوال أن تناقض الدين الصحيح، فهي ليست في جوهرها سوى حركة روحية ترمي إلى بعث قوى الأمة الداخلية، وتحقيق قابلياتها العقلية والنفسية، لكي تقدم الأمة قسطها من تمدن العالم وحضارته، فلا بد للقومية إذن - وهي روحية - من أن تلاقي الدين، وأن تستمد منه القوة والحياة،

والرفعة والسمو، كذلك القومية العربية في وجهها الصحيح لا تعارض ديناً من الأديان جميعاً لترشف من منابعها الفياض كؤوس الصفاء والخلوص، والقوة والخلود".

يتبين لنا من هذا الكلام أن الدكتور زريق يميّز بين القومية والدين، فالقومية لا علاقة لها بالدين، وبالتالي فإن دعاء القومية العربية منذ مطلع القرن العشرين كانوا غالباً من النصاري، أمثال بطرس البستاني، وإبراهيم اليازجي، ونجيب عازوري، وشكري غانم وغيرهم...

ومن مؤلفاته الهامة أيضاً كتابه "نحن والتاريخ" الذي صدر عام 1957، ثم طبع عدة طبعات، وهو يميّز فيه بين كلمة "تاريخ" و"تأريخ"، فالتاريخ يتناول الماضي البشري، والتأريخ هو الجهد المبذول لمعرفة ذلك الماضي ورواية أخباره، بغية إدراك ذلك الماضي البشري وإحيائه. والتاريخ علم هدفه كشف الحقيقة، وهناك فرق بين الحقيقة العلمية والحقيقة التاريخية التي يسعى إليها المؤرخون، فالحقيقة العلمية لا خلاف عليها فهي ثابتة، بينما الحقيقة التاريخية تطابقية، فهي تتوثق لأن استحضار الماضي كما كان غير ممكن.

وهو يرى أن من أهم صفات المؤرخ التجرد، أي يجب أن يتجرد المؤرخ من ميوله وآرائه وأهوائه.

هل هناك تاريخ من أجل التاريخ، كما أن هناك فناً من أجل الفن؟ إن أهمية التاريخ هي في أخذ العبر والدروس من أحداث الماضي، والاستفادة من تطبيقاتها على الحاضر أو المستقبل.

وهو يقول: "للتاريخ أثران متناقضان، بل لنقل إن التاريخ تاريخان: التاريخ العبد، والتاريخ الحافظ، فثمة تاريخ يُنقل كاهل صاحبه - فرداً كان أم أمة - ويشل حيويته، ويضعف همته، ويجعل إنتاجه هزياً وسقيماً، وثمة تاريخ آخر يحفز وينشط، ويبحث، ويدفع إلى الإبداع والتقدم... إن من الخير أن يكون تاريخنا حافظاً لنا، لا عبئاً علينا".

لقد استلهم الدكتور قسطنطين زريق تاريخ الأمة العربية، ودرس حسنات هذا التاريخ وسيئاته وتحدياته، ليبني عليها نظريته القومية، وهي من أهم ما قدمه لنا.

ومن كتبه الهامة كتاب "هذا العصر المتفجّر"، وكتاب "في معرفة الحضارة" الذي صدر عام 1964، ويرى فيه أن الحضارة هي القضية الكبرى في هذا العصر، بل في كل عصر، وأنها الحيّز الذي تثبت منه وتتنظم فيه مختلف القضايا القومية والإنسانية.

كما يتعرّض فيه إلى المشكلات التي تواجه المجتمع العربي، ويرى أن في رأسها التخلف الناجم عن ضآلة سيادتنا على الطبيعة، وضعفنا في استغلال مواردنا، والإقبال على التكنولوجيا، ونقد الذات، والاعتراف بالخطأ، وتحمل المسؤولية، بدلاً من إلقاءها على الغير، ومحاسبة النفس، ومن دون التفوّق الحضاري، ليس من الممكن تحقيق الغايات التي نسعى إليها، مثل العدالة الاجتماعية، والحرية، والسيادة وغيرها، وبالتالي يجب علينا أن نؤمن بالعقل والعلم، والسعي إلى الحقيقة، فالمجتمعات العربية لا تستطيع تحقيق أي تقدّم من دون اكتساب العلم، وتحقيق التطور العلمي الحديث، والتكنولوجيا الحديثة، وذلك لا يتم من دون السعي إلى الاستكشاف والريادة، واكتساب الذهنية

المتفتحة، وتنمية ثرواتنا الطبيعية وقدراتنا الإنتاجية، لأن من حماقة أن نهمل مواردنا الطبيعية والبشرية، ولا نستعملها استعمالاً تاماً.

كما يجب علينا بناء مجتمع علمي متحضّر، أي مجتمع تسري فيه روح العلم ويوظّف الطاقات العلمية والعقلية في مواكبة التطور العلمي الذي يجري اليوم بطريقة ثورية، بات من الصعب ملاحقتها.

وهو يحذّر من الاستئثار بالسلطة، وبأن تصبح وراثية، ويخلص إلى القول بأنه من الضروري إفساح المجال للنقد والمحاسبة، وبصيانة حرية الفكر والعقيدة، وبأن الحرية لا تتجزأ.

كان اهتمام الدكتور زريق بالقضية الفلسطينية سابقاً لقيام دولة إسرائيل، ولكن الحافز الأبرز الذي جعله يركّز على القومية العربية كان نكبة فلسطين، إذ كان من أوائل الذين تأثروا بهذه النكبة عام 1948، فوضع كتابه "معنى النكبة"، ثم وضع بعد هزيمة حزيران 1967، كتابه

الثاني "معنى النكبة مجدداً"، الذي يرى فيه أن قضية فلسطين هي أم القضايا التي تواجه الأمة العربية، لأن خطر الصهيونية يتعدى فلسطين ليمتد لكل الدول العربية، ويصيب الأمة العربية في الصميم.

لقد حرّ في نفسه أن تصبح "مؤسسة الدراسات الفلسطينية" التي كان رئيسها الفخري منذ تأسيسها عام 1963 شبه مشلولة، بسبب فقدان الدعم المادي والمعنوي لها، وكان يعوّل على الدور المهم الذي يفترض أن تقوم به في وجه الدعاية الصهيونية المنظمة والمدعومة، لذلك رفع الصوت عالياً، مطالباً بتقديم الدعم لهذه المؤسسة التي أصبحت على شفير الهاوية، فهي لا تلعب دورها الذي أنشئت من أجله، ولم تعد أبحاثها والمؤلفات التي تصدرها تلقى الاهتمام الكافي، والإقبال المطلوب.

كان آخر كتاب صدر للدكتور زريق عام 1991 هو كتاب "مطالب المستقبل العربي: هموم وتساؤلات" في وقت كان الوطن العربي يتخبّط في الكثير من المشكلات،

وكانت حرب الخليج العبثية مشتعلة بين العراق وإيران، وقد استمرت ثماني سنوات، إضافة إلى العديد من الأزمات المستشرية... وهو يرد أسباب هذه الأزمات الخائفة إلى التخلف الذي ورثناه عن عهد الانحطاط، وإلى الجهل والتمسك بالعصبيات الضيقة، والاستسلام إلى التحكم الطاغى أو القدر المجهول، وإلى التهاك على إرضاء الشهوات والمصالح الخاصة...

ومن أسباب هذه الأزمات أيضاً: موقع المنطقة العربية الاستراتيجى، وامتداد جذور التدخل الاستعماري فيها، وانصباب الأطماع الصهيونية عليها، وهذه كلها وغيرها تعمل بصورة مباشرة وغير مباشرة على توطيد التخلف في المجتمع العربي، وعلى إعاقة جهود هذا المجتمع للنهوض من أزماته.

ويرى أن التخلف ليس محصوراً في الأمة العربية، ولكن العجب كامن في القصور عن وعى حقيقة هذا التخلف وتقدير خطورته، وفي العقود عن مكافحته، وفي اتباع المسالك التي توطده وتزيده إمعاناً وانتشاراً.

كما يرى أن في مقدمة المهوم التي تشغل المفكر العربي، همّ إعادة الثقة إلى النفوس، وتحويل التراخي والارتياب واليأس إلى "قلق" حقيقي يثير الشعور والفكر، ويحفز على المجابهة والصمود والبذل... وهذا "القلق" يجب أن يؤدي إلى تحويل العجز إلى قدرة، وهذا يتطلب المعرفة: معرفة الغير، ومعرفة الذات التي يجب أن توظف الضمير، وتصبح حافظاً على التغيير والتجديد... فالشعوب العربية تحولت - في ظل الأنظمة التي تحكمها - لا فرق بين "التقدمية" و"الرجعية"، إلى جماهير تُدغدغ مشاعرهما، وتُستلب حيويتهما بمختلف أنواع الترغيب والترهيب وتُستغل لأغراض الحكام ومصالحهم... فإذا كان قيام الوطن لا يتم بغير الإنسان، فهل يتمكن الإنسان العربي من أن يتحول التحول الجذري المنشود؟ إن ذلك يتطلب إنساناً من نوع جديد.

إن المطلوب خلق عالم عربي جديد، وعقل عربي جديد، وأنظمة عربية جديدة، ولكن من أين وكيف؟! ومن يجرؤ، بل من يتجرأ؟!

هنا تكمن المشكلة ، كيف لنا بهذا الإنسان العربي الجديد؟ وكيف إيجاده وإعداده؟ وكم يستغرق ذلك من وقت؟ وهل الإنسان العربي حقاً يريد أن يتجدد؟.

هذا هو الدكتور قسطنطين زريق الدمشقيّ الأصل، الذي مهما قلنا فيه نبقى مقصرين، الرجل الموزون والمتوازن والمتزن، الذي لا يكتب أو يتحدث بانفعال، هادئ في تفكيره، هادئ في أعصابه، هادئ في حياته...

سيبقى الدكتور زريق رمزاً للإنسان الصادق الشريف المتواضع الذي يحترم نفسه، ويوحي بالاحترام، يرفض أن يكون تابعاً ولا يتقن التهريج والتدليس، يكتفي بأن يعيش في الظل، مقتنعاً بقناعاته، مكثفاً بما قدمه لأمته العربية دون منّة أو شكر.

قال الدكتور قسطنطين زريق في مقاله الأسبوعي الذي كانت تنشره جريدة "الحياة" كل يوم جمعة: إن أحد قراء الجريدة انتقده، ووجه إليه التهمة بأنه يردّد في هذه المقالات

عبارات القومية والقومية العربية، والتحرر، والتنمية، والتقدم... بينما العالم العربي غارق اليوم إلى أذنيه في التخلف والانقسام والفوضى... فما هذه الرومانسية التي تتبع من مقالاته؟ وهل بقي لما يدعو إليه أي معنى؟؟

قد يكون الدكتور زريق رومانسياً وحالماً، يحلم بوحدة عربية متينة ومنيعة، وقد تتحقق هذه الوحدة بعد سنوات، أو بعد عشرات السنين، وقد لا تتحقق أبداً... لكن هذا الحلم من الممكن أن يتحقق متى تنبّهت الأمة العربية إلى الأخطار التي تحيط بها، وأن خلاصها في وحدتها - وقد لا تكون وحدة تامة ناجزة في أول الأمر - فلا بأس أن تبدأ انطلاقاً من تقوية جامعة الدول العربية وتطبيق ميثاقها، والسعي إلى قيام شيء مما تسعى إلى تحقيقه الدول الأوروبية اليوم، وقد تكون على شكل قيام "وحدات" ثم تتوحد، كأن تقام وحدة بلاد الشام، ووحدة المغرب العربي، ووحدة الجزيرة العربية من اليمن إلى السعودية، أو قيام وحدة وادي النيل بين مصر والسودان التي لم تتعد قيامها على الورق!.

صحيح أن الدكتور زريق لم يؤسس حزباً سياسياً، ولم يضع نظاماً فلسفياً متمسكاً... ولكن حسبُه أنه قدّم أفكاره وآراءه ونصائحه على الورق، وأنه كان منسجماً وصادقاً مع نفسه، ورفع الصوت عالياً منذ منتصف القرن العشرين، ونبّه وحدّر وكابد وتألّم، وعانى كل ما نزل بأمتة العربية من أزمات ونكبات وكوارث وانقسامات وخصومات وتحديات واصطفافات...

لم يكن الدكتور زريق عنيفاً في حياته، وفي تفكيره، ولم يدعُ إلى الثورة، ولم يحمل السلاح، فقد كان سلاحه الكلمة المسؤولة الحرة، الصادقة النابعة من أعماق القلب، يوجهها فكر نيرٍ ومنفتح وغير متعصبٍ أو متزمتٍ ولم يقف عند الأمراض التي أصابت الأمة العربية، بل وصف لها الدواء، وحمل همومها وبحث عن الحلول للأزمات التي أصابتها، والتحديات التي واجهتها، ورحل قبل أن تتحقق أية أمنية من أمنيه القومية.

قال عنه الأستاذ مُنَح الصلح: "لقد كان الدكتور قسطنطين زريق، في كل منعطف من منعطفات تاريخ هذه الأمة، نكباتها، وتحولاتها، ، الصوت الهادئ المنير، حتى أوصله هذا الاهتمام بالمصير العربي والقلق عليه، إلى أن يصبح، وهو المؤرخ العالم المحقق، رائد المدرسة المستقبلية بين المؤرخين العرب، فحب أمته قلّده الريادة العلمية، وحب الحقيقة أعطاه الدور القيادي في أمته".

وقال الدكتور ميشال خليل جحا: "منذ نصف قرن ونيّف، والدكتور قسطنطين زريق يحمل هم الأمة العربية، ويبحث عن حلول للأزمات والتحديات التي تواجهها في حاضرها ومستقبلها... ومن الصعب على المؤرخ المنصف أن يتجاهل ما قدمه فيما أَلّف وكتب وحقق. خبرته وحكمته وإحساسه بالمسؤولية وإخلاصه للعمل. كل هذا جعله يحظى باحترام الناس له، وحضوره في أي ندوة أو نقاش أو مؤتمر يضيف طابعاً من الجدّية والاحترام والوقار".

في عام 1965 عين الدكتور زريق أستاذاً في جامعة "كولومبيا"، ثم في جامعتي "جورج تاون" و"يوتا" في الولايات المتحدة الأمريكية، فظل في هذا العمل حتى تقاعده عام 1977، وقد أهّلته مكانته الجامعية الرفيعة، ودراساته المتتابة في شتى قضايا الفكر، ومناصبه الإدارية والتعليمية إلى أن يُنتخب عضواً مراسلاً لمجتمع اللغة العربية في دمشق، وعضواً مؤازراً للمجمع العلمي العراقي في بغداد، وعضواً في اللجنة الدولية لوضع تاريخ تطور العلم والثقافة برعاية اليونسكو، وعضواً في المجلس التنفيذي لمنظمة اليونسكو، ورئيساً للرابطة الدولية للجامعات في باريس بين عامي 1965 - 1970، ثم رئيساً فخرياً لها عام 1970، كما انتخب رئيساً لأمناء مؤسسة الدراسات الفلسطينية في بيروت بين عامي 1967 - 1984، ثم رئيساً فخرياً لها عام 1984، وعضواً في مجلس إدارة مؤسسة عبد الحميد شومان في عمان بالأردن، وعضواً في المجلس التنفيذي لمنظمة الجامعة الدولية، ورئيساً للجنة الخبراء الدولية لدراسة قضية القبول في الجامعات برعاية اليونسكو، ورئيساً لجمعية الجامعات

الدولية ، ورئيساً لجمعية أصدقاء الكتاب في لبنان من عام 1960 حتى عام 1965 ، وساعد في تأسيس جامعتي الكويت وقطر وحصل على ميدالية التعليم في كل من لبنان وسورية .
نشر مقالاته وبحوثه باللغة العربية في عدد من المجالات العربية كالمورد الصافي، والمقتطف، والمكشوف، والأبحاث، والعلوم، والعربي الكويتية، والمعرفة السورية، ومجلة مجمع اللغة العربية بدمشق، وحلقة الدراسات الاجتماعية، والندوة اللبنانية، وكتاب محاضرات الموسم الثقافي في الكويت وغيرها.
كما أصدر عدداً وافراً من الكتب الهامة في التاريخ وقضايا الفكر والقومية العربية، والنهضة الحضارية، وتحقيق التراث العربي، ومن هذه الكتب:
أمراء غسان من آل جفنة (ترجمة ، بالاشتراك مع بندلي الجوزي).
اليزيدية قديماً وحديثاً ، تاريخ ابن الفرات (تحقيق بالاشتراك مع نجلا عز الدين)، الوعي القومي.

معنى النكبة، أيّ غدٍ؟، نحن والتاريخ، في معركة الحضارة، هذا العصر المتفجر، نحو عالمٍ عربي أفضل، تهذيب الأخلاق لابن مسكويه (تحقيق)، معنى النكبة مجدداً، نظرات في الحياة القومية العربية المتفتحة في الشرق العربي...

كان في جميع كتاباته واضح الأسلوب، بعيداً عن التقعر، قد لا نلمس في كتبه أساليب أئمة البيان العربي، ولكننا نلمس أسلوب المؤرخين الذين يُلبسون الفكرة والأحداث القوالب التي تلائمها، لتكون واضحة العبارة، سهلة الفهم، بعيدة عن الغموض، تتثال الأفكار انثيالاً يؤدي إلى الفهم والاقتناع، ثم إلى التحفّز فالعمل، وهذا من أبلغ الأساليب التي تصل بين الكاتب وقرائه... وكان يمتاز بسعة الاطلاع، والأناة، والتزام الأسلوب العلمي الحديث في الكتابة، كما كان معجباً بالحضارة الغربية...

توفي الدكتور قسطنطين زريق يوم السبت في الثاني
عشر من شهر آب عام 2000، في بيروت وهو في الحادية
والتسعين من عمره، ودُفن في المقبرة الأرثوذكسية لطائفة
الروم الأرثوذكس.

المصادر

- 1 - عيسى فتوح - أدباء في الذاكرة - دار كيوان - دمشق 2004.
- 2 - سامي الكيالي - الأدب العربي المعاصر في سورية - (1850 - 1950) - دار المعارف في مصر 1968.
- 3 - الدكتور ميشال جحا - وجوه نيّرة في الجامعة الأميركية في بيروت - دار نلسن - السويد - لبنان 2011.
- 4 - معجم المؤلفين السوريين - عبد القادر عياش - دار الفكر - دمشق 1985.
- 5 - حسان الكاتب - الموسوعة الموجزة (حرف القاف) - مطابع ألف باء - الأديب - دمشق 1983.
- 6 - عبد الغني العطري - عبقریات وأعلام - دار البشائر - دمشق 1996.
- 7 - موسوعة أعلام سورية (المجلد الثاني) - دار المنارة - دمشق 2000.
- 8 - الأب متري هاجي أثناسيو - موسوعة بطريركية أنطاكية التاريخية والأثرية - دمشق 2002.

مختارات

حول كتابه في معركة الحضارة كتب المفكر الكبير قسطنطين زريق يقول:

يدور هذا الكتاب على قضايا لازمت تفكيري في السنوات الأخيرة، واستأثرت بجزء وافر من قراءاتي وتأملاتي. على أنها ليست قضايا جديدة كل الجدة. فقد أشرت إلى بعضها في كتب لي سابقة. ذلك أن المشكلات المجتمعية والفكرية الأساسية لا تتبدل تبديلاً تاماً في فترة محدودة من الزمن، حتى في هذا العصر المتصف بالتغيرات العميقة والتبدلات المتسارعة. فأرجو إذن أن يجد القارئ نوعاً من الصلة بين الاهتمامات الرئيسية التي تربط هذا الكتاب بما سبقه، كما أرجو أن يرى تقدماً في أسلوب البحث وطريقة العرض، وفي الأطر التي ترسم فيها القضايا، وفي منطلقات إثارتها ومعالجتها. أما الإطار الرئيسي الذي يرسمه هذا الكتاب، فهو إطار "الحضارة"، وذلك نتيجة لاعتقاد

يزداد في نفسي تمكناً: إن هذه القضية هي القضية الكبرى في هذا العصر، بل في كل عصر، وإنها الحيّز الذي تبتثق منه وتتنظم فيه مختلف القضايا القومية والإنسانية.

ولعلّ خير ما يطمع فيه رجل الفكر هو أن يظلّ قدر استطاعته مجارياً للتطورات الحاصلة، معدلاً نظره وأساليب معالجته بحسبها، محافظاً، بالوقت ذاته، على وحدته الفكرية وعلى شخصيته كمفكر وكمواطن وكإنسان. ويقدر ما يتوفق إلى هذا، يكفل استمرار تفتح ونموه ويضمن حسن أدائه لتبعته: هذا الأداء وذاك التفتح اللذين ليس لهما حد يقفان عنده، أو غاية ينتهيان إليها.

وأمر آخر أود أن أشير إليه في مطلع هذا الكتاب. إن كل نتاج من هذا النوع يأتي حصيلة مشاركة مزدوجة: مشاركة الباحثين السابقين في الموضوع ذاته، ومشاركة الذين يحيا الكاتب وإياهم ويبادلهم النظر والرأي والاهتمام. ولقد حاولت، في ما يخص الفريق الأول، أن أتابع، ما أمكنني، البحوث المتصلة بموضوع الكتاب، وهي بحوث

متكاثرة بالنظر إلى ما يضطرب به عالم اليوم من قلق على الحضارة الحديثة ومن تساؤل عن مقوماتها ومصيرها. ولكنني لا أدعي أنني أحطت بهذه البحوث كلها، أو أن الدراسة التي أضعها الآن بيد القارئ هي القول الفصل في هذا الموضوع: إن هي إلا "محاولة تمهيدية وجولة استطلاعية في هذا الميدان الوعر، لعل أصدق ما يشفع فيها أنها من أولى المحاولات والجولات في اللغة العربية. ولعلها أن تكون مقدمة لدراسات في هذه اللغة أرسخ وأدق، ومبعثاً لبحوث عربية أوفى في هذا الموضوع الجليل".

أما المشاركة الثانية فقد جاءتني خلال السنوات الماضية حية زاهرة من زملائي وطلبتي في الجامعة الأميركية في بيروت الذين أفدت من آرائهم ونقاشهم، في مسائل هذا الكتاب وفي غيرها من القضايا التي نفكر بها ونحياها، ما يسرني أن أسجله بكل تقدير وامتنان واعتزاز. ولن أنسى تلك المشاركة السخية التي لا أستطيع التعبير عنها والتي لم يكن إهداء الكتاب سوى رمز طفيف من وافر رموزها، وظل خفيف من وارف ظلالها.

وتحت عنوان استجلاء المفاهيم الأساسية وتبعية المفكر
في ذلك أشار إلى أن:

غايته من هذه الدراسة هي استجلاء مفهوم الحضارة،
ومحاولة إدراك جوهرها ومقوماتها والتغيرات التي تطرأ
عليها، وتبيين الأثر الذي يحدثه هذا الإدراك والاستجلاء في
سعيها الحاضر، وفي وعينا لماضيها وإعدادنا لمستقبلنا.

يدفعنا إلى هذا، بوجه عام، اعتقادنا المكين أن من
أهم مقتضيات الحياة الصحيحة جلاء المفاهيم الأساسية
التي تقوم عليها. فهذه المفاهيم هي التي تحدد الغايات التي
تتجه إليها حياة الأفراد والمجتمعات، وتعين الوسائل التي
تتخذها هذه الحياة، وتكيف سائر الاختيارات الواعية وغير
الواعية التي تكوّنونها وتميزها عن سواها. فاستيضاح هذه
المفاهيم ضروري لمن يرغب في فهم مجتمع من المجتمعات، أو
دور من أدوار التاريخ البشري، ويبغي النفاذ إلى لبه،
واكتناه المبادئ والروابط التي تنظم حياته والعوامل التي
تحركه. وهذا الاستيضاح نفسه ضروري لأبناء ذلك المجتمع
أو الدور التاريخي بالذات، لأنه يكشف لهم عن غاياتهم

ووسائلهم واتجاهاتهم، ويمكنهم من تدبرها، ويعينهم على معرفة ما تتضمنه من صواب أو خطأ ومن خير أو شر. وبهذا كله يتدرجون في سبل السلوك الواعي، ويتجنبون المزالق والمخاطر، ويستثمرون جهودهم أفضل استثمار.

وإذا كان هذا السعي لاستجلاء المفاهيم الأساسية مطلوباً في كل زمان ومكان، فإن له خطورته الخاصة في أدوار التحول السريع والتغير العميق شأن الدور الذي نجوزه - وتجوزه الإنسانية عامة - في هذه الأيام. فأئى نظرنا حولنا وجدنا تبدلاً متلاحقاً في الأوضاع السياسية والاقتصادية، وفي العلاقات الاجتماعية، وفي المعرفة النظرية والنتائج التطبيقية، وفي قواعد السلوك ومقاييس الأخلاق. في مثل هذه الحال لا بد، إذا أريد لهذه الحياة الجائشة المتحولة أن تحقق إمكاناتها خير تحقيق، من جهد متصل لاستبانة الفكر الأساسية التي تدور في الأذهان واستخلاص الغايات والوسائل التي ترسم في الأخيلة والبصائر. ذلك أن هذه الفكر تكون في هذه الأدوار مشوبة بالاضطراب الطاعي على سبل الرأي والعمل، خاضعة للتبدل والتغير السارين في

شرايين الحياة، فتضطرب هي ذاتها، وتختلط أنواعها ومراتبها، ويصبح من الصعب التمييز بين صحيحها وفاسدها. يضاف إلى هذا أن أدوار التغير السريع تتصف غالباً بالشعور النائر والعاطفة المتدفقة والتخيل الذي تتطلق به الأماني والرغبات سهلة رضية. هذه كلها تحرك الجهود وتثير الهمم وتلهب العزائم، ولكنها قلما تتسجم والصفات الفكرية الضروري لإيضاح المفاهيم والتمييز بين الغايات. فلا عجب أن تغمض هذه وتختلط، وأن تشتد الحاجة إلى الجهد المطلوب للتمييز والإيضاح.

ولهذا الجهد أهميته البالغة للأمم التي تهب لبناء حياة جديدة. فإن تبدلها أسرع وثورتها على أوضاعها أشد مما هما عند سواها. ولذا كان عليها أن تظل يقظة متببهة كي تأتي نشأتها الجديدة سليمة مستوفية لشروط النمو والاكتمال. ثم إننا نلاحظ مبلغ الطاقات التي تدعى هذه الأمم إلى بذلها والتضحيات التي تطلب منها باسم الأهداف والغايات التي ترسم لها. ويتناول كلاً من المظاهر المذكورة ضمن الكيان الحضاري العام الذي ينتسب إليه وينبثق منه. فكما أن

معالجة قضية من القضايا الحالية لا يكفيها إدراك سياسي أو اقتصادي أو أي إدراك جزئي آخر، بل تستوجب استيعاباً "حضارياً"، كذلك لا بد من "نظر حضاري" و"تفهم حضاري" لإدراك الماضي على حقيقته ولتبين جوهر علاقته بالحاضر وتأثيره فيه.

هذا الاعتبار الذي نلفت إليه الأنظار هو، من ناحية، وجه لمشكلة عامة تتجلى في هذا العصر ولا مجال لنا هنا للتبسط فيها. تلك هي مشكلة الملاءمة بين الاختصاص الدقيق الذي يدعو إليه تقدم العلم السريع في أيامنا هذه والمعرفة الشاملة التي تجمع المعارف الجزئية الاختصاصية في كيان مترابط متوازن متكامل. ومع أننا لا نستطيع أن نفصل المشكلة الخاصة التي نعالجها في هذا البحث عن المشكلة العامة التي أشرنا إليها، فإن همنا مقصور هنا على تلك، ووجدنا مدفوعين إلى أن نؤكد ضرورة "النظر الحضاري" الشامل و"التفهم الحضاري" النافذ لحسن إدراك أية ناحية من نواحي حياتنا الحالية أو السابقة، مهما اختص موضوعها أو ضاقت حدودها.

إننا إذا نظرنا هذا النظر وحاولنا هذا التفهم تمكنا من إثارة الأسئلة الجوهرية التي يجب أن تسأل ومن تعيين المشكلات الأولية التي منها تتفرع المشكلات الثانوية. إن كثيراً من المعالجات النظرية أو العملية تخفق لعدم تمييزها بين الأصول والفروع، وبين الكليات والجزئيات، فتضع الثانية قبل الأولى، وتتساءل أسئلة لا يصح الوقوف عندها أو الاكتفاء بالإجابة عنها دون النفاذ إلى ما هو أعمق منها وأشمل. ومعرفة منازل الأسئلة ومراتب المشكلات شرط هام من شروط الإدراك الصحيح. وفي اعتقادنا إن المفهوم الحضاري يسهم في تحقيق هذا الإدراك، بما ينمي من قدره على وضع المشكلات الحاضرة والماضية في مراتبها الصحيحة ويستدعي قسطاً بالغاً من مجهودها القومي. أليس هو في الواقع دليلاً على رغبة هذه الشعوب في الانتقال من وضع حضاري لم يعد موافقاً لما بلغه تطور الحياة الإنسانية إلى وضع أكثر ملاءمة وأدعى إلى سلامة البقاء وعز الجانب ونفوذ الشأن؟ كذلك يمكننا أن نبسط أمام أبصارنا كل ظاهر أو باطن من أحوال أي شعب من الشعوب: كشكل

الحكم، ومبلغ الإنتاج المادي، وحالة الصحة العامة، ومدى انتشار العلم، ونوع العقلية السائدة والعادات والأخلاق المتبعة، فنجد أن هذه كلها وأمثالها ترتبط فيما بينها برابطة شاملة وتجتمع في كيان عام، هو الكيان الحضاري لذلك الشعب، الناتج من إرثه الماضي وجهده الحاضر ونوع استعداده للمستقبل، والمتأثر بالكيانات الحضارية الأخرى المتصلة به المتفاعلة وإياه.

يصح هذا عن الماضي، كما يصح عن الحاضر. فنحن كثيراً ما ننكبُّ على الأدب العربي مثلاً فنحاول دراسته بذاته. على أننا، مهما نقبنا فيه وقلبناه على وجوهه وفصلنا دراسته، نظل قاصرين عن فهمه على حقيقته إلا إذا ربطناه بسواه من مظاهر الحضارة العربية وتبيننا علاقته بأوضاعها الاقتصادية والاجتماعية والدينية وكوناً في ذهننا صورة جامعة لهذه الحضارة صادقة في النفاذ إلى لبّها وفي تصوير أشكالها واتجاهاتها وبواعثها. وكذلك شأن أية دراسة للحياة الماضية، سواء أكانت محصورة في نطاق شعب من الشعوب أم شاملة للإنسانية جمعاء. وإذا صدق هذا، فإنه

يستدعي اتجاهها معيناً في النظر إلى الماضي وفي محاولة فهمه: هو الاتجاه الحضاري الذي لا يقف عند مظهر من مظاهر الحياة الماضية كالسياسة أو الاقتصاد أو العلم أو غيرها فيؤرخ له من ضمن حدوده، بل يعتبر الحضارات - كما يقول المؤرخ ارنولد توينبي - الوحدات الأساسية أو المعقولة في الدراسة التاريخية⁽¹⁾ فجدير بقادتها وبأبنائها أن يحرصوا على ألا تضيع هذه الجهود سدى وألا تؤدي إلى ضرر أو خسران. وهم إذا حرصوا هذا الحرص وجدوا أن لا بد لهم من إخضاع المبادئ والغايات التي يدعون إليها للامتحان المستمر، ومن جلاء المفاهيم التي تنطوي عليها هذه الغايات والمبادئ، كي يكون سيرهم على هدى وسعيهم صحيح النتائج متوافر العوائد.

ولعل هذا هو أهم واجب يقع على عاتق المفكر في مثل هذا الدور من تاريخ أمته. فالكثرة من أبناء الأمة تعيش في خضم الحياة الجائشة، وفي جو مفعم بالآمال الجديدة

¹ (اكسفورد، 1955) Arnold Toynbee, A study of history

والأمانى المنطلقة. وهو معها - أو يجب أن يكون معها - في ما تتحسس به، لأن مصيره مرتبط بمصيرها، ولأن له نصيبه من السعي وقسطه من التبعة في تحديد المصير المشترك. غير أن هذا النصيب ذاته يفرض عليه، بحكم وظيفته ومقتضى عمله، أن ينفصل بعض الانفصال عن فورة الحياة التي يعيش فيها شعبه وأن يتحرر من سلطتها وسحرها لينظر إليها من خارجها، ولينفذ إلى المفاهيم الأساسية التي تبعثها، وليحك هذه المفاهيم بمحك النظر، وليستبين ويبين لسواه ما تحويه من صواب أو خطأ وما تجر إليه من نفع أو ضرر. وإنه ليجد أن هذا العمل يضطره إلى نوع من الانزواء ليوفر للجهد الفكري ما يتطلبه من هدوء وانصراف وإعداد. وعندها يتهمه مجتمعه بأنه يعيش في "برج عاجي" وإنه لا ينزل إلى المعركة ولا يشارك في الجهاد. ولا ضير عليه في هذا إذا كان متبهاً لوظيفته ساعياً إلى القيام بمقتضياتها حريصاً على أمانته للفكر وتبعته في نشدان الحقيقة والدعوة إليها، وإذا ظلّ، بالوقت ذاته، شاعراً بما يخفق في صدور أبناء مجتمعه وما تتمخض به نفوسهم، عائشاً في توتر حي مبدع

بين مقتضيات الفكر والعمل وبين مطالب العزلة والاتصال. في هذا التوتر الحي المبدع تتمثل آمال المفكر وآلامه، ومنه ينطلق إنتاجه الناشط الفاعل. ويقدر ما يفرض هذا التوتر من معاناة ومجالدة ومن بذل وتضحية، وما يُحدث من توجيه صحيح وتأثيرٍ باقٍ، يسمو المفكر إلى مرتبته الحق ويؤدي وظيفته وينال رضى النفس واطمئنان الضمير.

وحول التفهم الحضاري وأثره في حسن الإدراك قال:

من المفاهيم الأساسية التي نجد من الضروري استجلاءها في هذا الدور الحاسم من تاريخنا ومن تاريخ البشرية مفهوم "الحضارة". ومع أن هذا اللفظ لا يدور على ألسنتنا ولا يثير في نفوسنا مثل ما تدور وتثير ألفاظ أخرى كالقومية، والتحرر، والاستعمار، والاشتراكية، والديمقراطية، وأمثالها، فإننا نعتقد أن المفاهيم التي تتطوي عليها هذه كلها مرتبطة بمفهومه ولا تدرك حق الإدراك إلا من خلاله. ولعل في مقدمة واجباتنا إذن أن نُنزل هذا المفهوم منزلته الحقيقية وأن نضعه في المركز المتوسط الذي منه تتبثق وإليه تعود أكثر المعاني التي نتقناها في هذه الأيام أو التي تقصتها البشرية في مختلف الأمكنة والأزمان.

سنحاول في الفصل التالي تعريف "الحضارة" وإبراز مدلولاتها. ولكن لا بأس، في مطلع هذه الدراسة، من أن نذكر أن هذا اللفظ يستعمل لأداء معنيين مختلفين قلما يميز بينهما. أما المعنى الأول فهو الوصفي الذي يقصد به مجموع الحياة التي يحيها شعب واحد أو شعوب عدة، بما تضم من نظم في الحكم وسبل في تحصيل المعاش وعلاقات اجتماعية ومعرفة نظرية وعملية وقواعد سلوكية وسواها من المقومات التي تتمثل فيها تلك الحياة. وجوهر هذا المعنى هو الوحدة التي تسري في هذه المقومات جميعاً وتربطها بعضها ببعض. فإذا ذكرنا مثلاً نظام الإقطاع في أوروبا الوسيطة أو دين الإغريق أو الخلافة في الإسلام، كان كل منها، بهذا المعنى، مظهراً لحضارة معينة تؤلف مختلف مظاهرها وحدة شاملة.

وثمة معنى ثانٍ، وهو الأغلب. إنه المعنى التقييمي الذي به نتوجه إلى القيم التي تتضمنها الحضارات وتتميز بها، أو نقارن ونقابل حضارة وأخرى، أو نحكم على الدور التي تمر به إحدى الحضارات. بهذا المعنى نقول عن حضارة ما إنها في

تقدم أو انحطاط أو في ازدهار أو ذبول، أو نقدر حضارة الإغريق مثلاً فنذكر أنها فاقت حضارة الهند أو تدنت عنها، أما في مجموعها أو في بعض خصائصها ومميزاتها. وهذه الأحكام كثيراً ما تجري على أسننتنا أو تنطلق من أقالمتنا، وبخاصة عند نظرنا في حضارتنا الماضية أو الحديثة وعلاقتها بسواها من الحضارات.

وسواء فهمنا الحضارة بهذا المعنى أو بذاك، فلا جدال في أهمية هذا الفهم في ما نطمح إليه من حسن إدراك أو من صحة عمل. أما من حيث الإدراك فإن المفهوم الحضاري هو الذي يساعدنا على وضع مفاهيم الحياة الأخرى في مواضعها من ضمن الروابط التي تربطها والوحدة التي تجمعها. ذلك أن الوضع الحضاري هو الوضع الذي تلتقي به وتبين على ضوئه شتى الأوضاع الأخرى القائمة في مجتمع من المجتمعات. نتحدث اليوم مثلاً عن الاستعمار وكثيراً ما نقف عنده، ولكن الاستعمار لا يفهم على حقيقته إلا كمظهر من مظاهر حضارة الدول المستعمرة وحضارة الدول المستعمرة. فلولا أن الأولى هي في وضع حضاري معين يشمل

اقتصادها وسياستها وعلمها ونظرتها للإنسان، ولولا أن الأخرى لها أيضاً وضعها الحضاري الذي تختلف به عن الأولى والذي مكن هذه من أن تتسلط عليها لما كان ثمة تحكم واستغلال واستعمار. ومثل ذلك السعي الحثيث إلى التنمية الاقتصادية الذي يشغل بال العديد من شعوب اليوم وعلى إثارة التساؤلات عنها حسب أهميتها. إن هذا الإدراك هو، من ناحية، غاية بذاته إذ به يتمييز الأفراد والجماعات وتقدر مراتب تفكيرهم ومستويات عيشهم. وهو، من ناحية ثانية كما سنرى، السبيل الأمين للعمل السليم وللإنجاز الرشيد المنتج في شتى وجوه الحياة.

وإذا انتقلنا من معنى الحضارة الوصفي إلى معناها التقييمي، وجدنا هنا أيضاً أهمية قصوى للمفهوم الحضاري في حسن إدراك الحياة الماضية والحضارة. ذلك إن حضارة أي شعب من الشعوب هي، بهذا المعنى، جماع القيم التي يسعى ذلك الشعب إلى تحقيقها والتي تتمثل في مختلف نشاطاته وإنجازاته. كيف يمكننا مثلاً أن نفهم حياة البيزنطيين ونقارنها ونقابلها بحياة معاصريهم المسلمين في الشرق أو

اللاتين في الغرب إذا لم نستكشف القيم التي تنطوي عليها تلك الحياة والتي تؤلف بمجموعها جوهر الحضارة البيزنطية ولب نتائجها وخلاصة إسهامها في التقدم البشري؟ وإذا أردنا أن ندرس حضارة لنا سألنا، فأني جدوى من هذه الدراسة إذا لم تجل لنا في نهاية الأمر نوع القيم التي حققتها هذه الحضارة أو طمحت إلى تحقيقها والتي تجسدت في سلوك أبنائها وفي ما أنتجوه في شتى حقول الفكر والعمل؟

وكذلك شأننا في مواقفنا الحاضرة. فإن إدراكنا الصحيح للحياة التي نحيها يتطلب استكشاف القيم التي تتضمنها، ومبلغ سلامتها وأصالتها، أو ضعفها وخللها، ومدى ما ينبغي من تعديل فيها أو من تخل عنها في سبيل قيم أخرى تتعلق بها الآمال المنبعثة في صدورنا. ثم ما هي القيم الجديدة، وما هو مقدار صحتها وجدواها، وما هو مستواها بالنسبة إلى القيم الماضية والحاضرة، ومنزلتها في السلم العام الذي ترتب به هذه القيم جميعاً؟ وبعبارة أخرى: إننا عندما ننظر في شؤوننا في هذا النطاق، نطاق الحضارة، ومن ضمن المعاني الحضارية التي تشتملها حياتنا، فإننا ننفذ

إلى عالم القيم حيث نواجه مفاهيم أخرى أساسية كالتقدم، والحرية، والكسب العقلي، والإبداع الفني، والخير الفردي والجماعي، وأمثالها. ولا مرء في أن صحة إدراكنا للحياة، في جوهرها وجماعها، يتوقف على سلامة هذه المفاهيم والمعاني الأساسية التي نتداولها، وعلى وضوحها في أذهاننا، وعلى ترتيبها في مراتبها الخاصة بها حسب مقاييس صادقة ونظام يقره العقل الفاعل المتجرد. إن هذه المفاهيم، على خطورتها، تكون في الغالب غامضة مختلطة، مما يؤدي إلى غموض واختلاط في شتى وجوه التفكير والعمل. ما هو جوهر الحرية مثلاً؟ وما علاقة الحرية بالتقدم؟ وما صلتهما وصلة غيرهما من الخيارات بالسعي إلى الحقيقة وبنوع النظر إلى الكون والحياة؟ من أين ننطلق في ترتيبنا للقيم التي نشد، وأي سبيل نسلك، وأية مقاييس نستخدم؟ إن إثارة هذه الأسئلة وأمثالها يعين على إزالة الغموض الذي يكتنف هذه المفاهيم الأساسية وعلى تمييزها بعضها من بعض وعلى استكشاف الروابط التي تربطها والمراتب التي تنتظم فيها.

يظهر من هذا إننا، عندما ننظر في أوضاعنا أو في أوضاع المجتمعات الأخرى بمضموناتها الحضارية، وبشمولها الحضاري، ننفذ إلى جذور هذه الأوضاع ونجابه مشكلاتها في أعماق المستويات ونتجهز بما يمكننا من الحكم في شؤونها حكماً واعياً سديداً. فمن هنا أيضاً تتبين لنا جدوى "النظر الحضاري" و"التفهم الحضاري" في بلوغ ذلك الإدراك الصحيح المبتغى لجوهر حياتنا، حاضراً وماضياً ومستقبلاً.

وأضاف تحت عنوان

واجب المفكر

من شر ما تحدثه بعض المحن والشدائد في الأمم توزّع الآراء وتفرق النزعات في الأفراد والجماعات. فتري هؤلاء من شدة ما يصيبهم ذاهلين ضائعين: يؤخذون حيناً بهذا الرأي، وحيناً بذاك، ويتبعون أيّ دليل يدعي القيادة، إلى طريق الخلاص.

وشبيه بهذا ما حلّ بجمهور الشعب العربي، بل بقيادة رأيه ومثقفيه إثر النكبة التي حلت بالعرب في فلسطين. فالواقع أن مئات الألوف من أهل هذا البلد المنكوب لم يشرّدوا من بيوتهم ويهيموا على وجوههم فحسب، بل إن أفكارهم وآراءهم، وأفكار أبناء وطنهم في شتى منازلهم، قد شردت أيضاً وهامت، فانتشرت فيهم بليلة في الرأي، أقل ما يقال فيها أنها نذيرٌ بشرٌ أعظم إذا لم تبدد ويحل محلها تفكير صاف وعزم موحد.

من مظاهر هذه البلبلة هذه الاتهامات المختلفة تكال
حيناً لهذا وحيناً لذاك، وتصب على هذه الجهة أو تلك. وترى
الناس من أثرها شيعاً ينجازون إلى دولة من الدول العربية
على أخرى، ويهاجمون هذا أو ذاك من زعماء العرب
وقادتهم، فيشغلون بذلك عن التفكير في العدو المشترك
والمصاب الملم.

كذلك نختلف في تعليل النكبة وتحليل أسبابها. فمننا
من يرجعها إلى نقص في الدعاية لقضيتنا الحق، وآخرون
لقلة استعدادنا بالعدد والأسلحة، وغيرهم إلى اختلاف النظر
والعمل بين دولنا العربية، أو إلى غير هذه من مواطن الضعف
فيها.

وتبرز هذه البلبلة، بصفة خاصة، في صفوف الشباب
الواعي، المتحفز للعمل، المستعد لبذل ذاته في سبيل وطنه
والمساهمة في حمل أعباء أمته. ينظر هذا الشباب إلى نفسه،
وإلى ماضيه، يتفحص ما قام به من أعمال، وما حاول أن
ينشئ من أحزاب، وما بذل من جهود في سبيل القضية
العامة، فيجد أن هذه كلها لم تكن وافية بالغرض

المطلوب، فلا هي استطاعت أن ترد الكارثة، ولا أرضت نوازع هذا الشباب أو أشبعت طموحه الملح لخدمة أمته وتحريرها. ويتساءل هذا الشباب عما يجب أن يفعل تداركاً لشروخ الحاضر، ودفعاً لأخطار المستقبل، فلا يجد أمامه سبيلاً واضحاً، أسلوباً معيناً. فيتخبط في شتى الآراء والاتجاهات، ويتطلع حيناً إلى هنا، وحيناً إلى هناك، ويدور فكره في الأكثر على نفسه، فلا يؤدي إلى نتيجة إيجابية أو أثر محسوس.

هذا النضر من الشباب، الواعي، المتلمس طريق الواجب، المستعد للعمل والتضحية، المتحرق لخدمة الوطن هو ذخر هذه الأمة وعدتها لمستقبلها. هذا الشباب هو اليوم مضطرب البال، موزع الفكر، مشتت الإدارة. أجلس في أي من مجالسة شئت، تر هذا الاضطراب قائماً، وتلمس البلبلة الشديدة الأليمة في تعليل الوضع الحاضر، وفي تحري سبل الخلاص.

ولا جدال في أن هذه البلبلة ليست شراً كلها، فإن فيها من التساؤل والمحاسبة والتألم النفسي ما قد يشق طرقاً

جديدة للمستقبل. ذلك أن التساؤل هو الخطوة الأولى للتقدم الفكري، كما أن الألم قد يبعث قوى النفس ويحفزها لبذلٍ أوفر وجهدٍ أشد.

غير أن هذا التساؤل والتألم قد يضيع ويذهب سدى، بل قد ينقلب شراً وسوءاً – قد يتحول التساؤل إلى حيرة وضياع، والألم إلى يأس قتال أو سلبية هدامة – إذا لم يتصدّ لهما الفكر النير، فيفصل بين الصواب والخطأ، بين العناصر الإيجابية والسلبية، بين عوامل القوة والأمل وعوامل الضعف والخيبة، فينصر الأولى على الثانية، ويوجهها التوجيه الحسن إلى ما يحفظ الأمة ويبقي ثقته بنفسها.

هي ذي إذن وظيفة الفكر الواعي في هذه النازلة، بل في كل شدة أو أزمة. هي أن يأخذ على عاتقه قيادة الرأي وسط الاضطراب والحيرة، هي أن يلقي ضوءاً على الوضع المتخبط، فيظهره على حقيقته، ويميز بين مختلف عناصره ووجوهه. ووظيفته أن يفرق بين الأسباب والنتائج، فلا يقدم الثانية على الأولى، وأن يفصل بين الأسباب البعيدة والقريبة

وبين الأصول والفروع، فيعطي لكل شيء أهميته، ويقدره قدره في العملية المعقدة المتشابكة.

فإذا فصل هذا الفصل وميز هذا التمييز عمد إلى وصف سبل المعالجة، فتناول الأسباب القريبة بمعالجة قريبة، وتوجه إلى الأسباب البعيدة بعمل طويل النفس واسع المدى، ولم يهتم بالمظاهر اهتمامه بالعوامل، ولم يبذل للفروع ما يجب أن يبذله للأصول.

ولعل قادة العمل وحاملي المسؤوليات الكبرى لا يرتاحون كثيراً إلى مثل هذه المهمة يأخذها المفكر على عاتقه. وهم في ذلك على حق إذا كان الفكر مجرداً لا تتصل جذوره بالواقع، وإذا كان المفكر غير شاعر بالمسؤولية، أو وازنها بالميزان الصحيح العادل. حينئذ يحق لهم أن يقولوا: "الحرب بالمنظار هيّن"، وأن ينظروا إلى المفكر شزراً، ويستخفوا به. حينئذ يكون الفكر خليقاً بذلك، بل خليقاً بأن يخفق من ذاته مهما كانت نظرة رجال العمل إليه، وتصرفهم نحوه.

إن هذا الشعور بالمسؤولية المترتبة على كل فرد من أفراد الأمة، وعلى مفكرها خاصة، في هذا الظرف العصيب، هو

بالذات الدافع إلى وضع هذه الرسالة ، وهو ما يشفع - فيما أرجو - بما تتضمن من خطأ أو تطوي عليه من ضعف. وما دامت ناشئة عن هذا الشعور، ومتسلحة بهذه العدة، فلن تخشى مذمة أو ملاماً في تبيان الخطأ وتحديد التبعة، وفي الكشف عن جذور الكارثة الحاضرة، والدعوة بصراحة قوة إلى اقتلاعها. فلعل أن يكون منها بعض الفائدة في تبيان طريق الخلاص ودفع الفكر والنفس إليها.

فداحة النكبة

ليست هزيمة العرب في فلسطين بالنكسة البسيطة، أو بالشر الهين العابر. وإنما هي نكبة بكل ما في هذه الكلمة من معنى، ومحنة من أشد ما ابتلى به العرب في تاريخهم الطويل، على ما فيه من محن ومآسي.

سبع دول عربية تعلن الحرب على الصهيونية في فلسطين، فتقف أمامها عاجزة ثم تنكص على أعقابها. خطب نارية يلقيها ممثلو العرب في أعلى الهيئات الدوية منذرة بما ستفعله الدول والشعوب العربية إن صدر هذا القرار أو ذلك. وتصريحات تقذف كالقنابل من أفواه الرجال الرسميين لدى اجتماعات الجامعة العربية. ثم يجدّ الجدّ فإذا النار خافتة باهتة، وإذا الصلب والحديد صدئ ملتوٍ سريع العطب والتفتت، وإذا القنابل جوفاء فارغة لا تحدث أذى ولا تصيب مقتلاً.

سبع دول تتصدى لأبطال التقسيم، وقمع الصهيونية، فإذا بها تخرج من هذه المعركة وقد خسرت قسماً لا يستهان به من أرض فلسطين، بل من الجزء "المعطى" للعرب في التقسيم، وإذا بها تقهر قهراً على قبول هدنة لا مصلحة لها فيها ولا غناء.

قضية لم يعرف التاريخ أعدل منها وأقرب إلى الحق: بلد يُغتصب من أهله ليجعل وطناً لشراذم من الخلق ينزلونه من شتى أقطار العالم ويطبقون فيه دولة رغم أنوف أصحابه والملايين من إخوانهم في الأقطار المجاورة. ومع ما في يد العرب من حق صراح، وما في بلادهم من إمكانيات، وما للدول فيها من مصالح يساوم عليها - مع هذا كله، يقفون فرادى في الميدان الدولي، تعاديهم الدول العظمى ويناوئهم الرأي العام العالمي، وليس لهم حليف قوي قد أعدوه ليسندهم في مثل هذا الظرف وينصرهم في صراعهم.

أربعمائة ألف عربي أو أكثر يشردون من بيوتهم، وتنتزع منهم أموالهم وأملأهم، ويهيمنون على وجوههم في ما تبقى من فلسطين وفي البلدان العربية الأخرى، لا يدرون ما يخبئه لهم القدر أو أي مورد من موارد العيش يرتادون، ويتساءلون

عما إذا كان سيحكم عليهم بالعودة إلى بلادهم ليعيشوا تحت ظل الصهيونيين، ويتحملوا ما يفرضونه عليهم من أذى وإهانة وإذابة، وإفناء.

بل شر من هذا! فقد تحول التشتت والتشرد من اليهود إلى العرب. فبعد أن كان العرب لا يعترفون للمشردين اليهود بحق، وبعد أن كانت الهيئات اليهودية تسعى لدى المنظمات الدولية لحل معضلتهم بإقامة الوطن الصهيوني في فلسطين، إذا بالدول العربية الآن تستعطف هذه المنظمات لإعادة مشردي العرب إلى بلادهم الواقعة تحت الحكم الصهيوني، وتجعل ذلك شرطاً لتحويل "وقف القتال" إلى "هدنة".

وعلى الإجمال: لم يكن الوطن الصهيوني في فلسطين أقرب يوماً إلى التحقيق منه في هذه الأيام. وبالعكس، لم يُصب الكيان العربي بعد بما أصيب به في هذه المعركة من تصدع وانهيار.

وفوق الانهيار المادي انهيار معنوي يتمثل في شك العرب بحكوماتهم، واتهاماتهم لقاداتهم وزعمائهم، بل شك الكثيرين منهم في أنفسهم وفي قابلياتهم كأمة، وتسرب

اليأس إلى صدورهم، وتهربهم من مجابهة الخطر، وتضائلهم أمام عظم المصيبة. ولعمري! أن هذا الانتكاس المعنوي الروحي لأهم من الخسارة المادية مهما عظمت، لأن الشعب إذا تفتت عزمه وخسر ثقته بنفسه، فقد أضع خير ما يملك وعجز عن أن ينهض بعد كبوة، أو أن ينفذ عن نفسه غبار الذل والخذلان.

هي ذي بعض وجوه النكبة التي لحقت بالعرب في هذه المعركة من حرب فلسطين. وكفى بها، وبأمثالها مما يدور على الألسن ويختلج في القلوب ومما يشاهده ويسمع به كل منا في هذه الأيام العصيبة، دليلاً على خطورة المحنة، وشدّة المأساة.

على أن من العدل والإنصاف أن نسرع فنقول إن أسباب هذه الكارثة لا تعود كلها إلى العرب أنفسهم. فالعدو المتصدي لهم قوي الشكيمة، غزير الموارد، بعيد الأثر، قضى السنين - بل الأجيال - وهو يتأهب لهذا الصراع، وقد بث نفوذه وسلطته في مشارق الأرض ومغاربها، واستولى على

كثير من مصادر القوى في الدول العظمى، حتى دانت هذه له أو اضطرت إلى ممالأته. وهو إذا حشد قواه على إحدى هذه الدول أتعبها واستأثر بكثير من مصالحها، كما أظهر التاريخ البعيد والقريب فعلاً في كل من دول الأرض العظمى. فكيف به، وقد نازل أمة لا تزال في بدء نهضتها، وفي المرحلة الأولى من تكونها الاجتماعي والسياسي - أمة ظلت قروناً مقهورة على نفسها بحكم استبدادي كاد يجردها عن ذاتها، وما لبثت منذ أن خلعت عن نفسها هذا الحكم الثقيل تسعى لانتزاع حريتها واستقلالها من أقوى أمم الأرض وأبعدها نفوذاً؟ ليست الصهيونية تلك الجوالي والمستعمرات المنتشرة في فلسطين فحسب، وإنما هي الشبكة العالمية، المجهزة علمياً ومالاً، المسيطرة في بلاد العالم النافذة، المسخرة كل قواها لتحقيق هدفها في بناء وطن لأبنائها في فلسطين.

فمن الواجب أن نقر بهذه القوة الهائلة التي يمتلكها العدو، وأن نحسب لها حسابها عندما ننظر في معضلتنا الحاضرة ونسعى لمعالجتها. فلقد كان من شر ما بلينا به في السنوات الأخيرة أننا، بينما كنا نطلب في تبيان هذه القوة

وشروورها للغير، كنا نحن بالفعل مستهترين بها ذاهلين عن ازديادها وتكتلها على الأيام. ثم عندما نشبت المعركة أخذت دعايتنا الداخلية تلهج بانتصارات لنا خيالية، وتخدر الجمهور العربي بسهولة صراعنا الحربي ومقدرتنا على التفوق والانتصار - إلى أن وقعت النكبة ووقع معها رد الفعل المريع. ولعل أن يكون من حسنات هذه الهزة العنيفة أن تردنا إلى الواقع، وتبهننا إلى حقيقة الحال، فتساعدنا على أن نقدر الأمر قدره ونتخذ له عدته.

قلت: من الحق والواجب أن نقرب قوة العدو الهائلة، فلا نحمل أنفسنا من اللوم فوق ما تستحق. ولكن من الحق والواجب كذلك أن نقرب أخطائنا ونتبين مصادر الضعف في كياننا، وأن نعرف مدى مسؤوليتنا في هذه الكارثة التي أصابتنا. ومن الشر كل الشر أن نتهرب من هذه المسؤولية، ونعمي أبصارنا عن مناحي تقصيرنا، فننحي باللائمة على هذا أو ذاك من سوانا دون أن نرى الضعف والعيب والفساد في نفوسنا. فما أكثر ما نسمع بيننا اليوم من شتم لليهود، ومن تنديد بالإنكليز والأميركان والروس، وبمجلس الأمن

ووسيط الأمم المتحدة، وبكل من يقف مناوئاً لنا في هذا الصراع. لا شك في أن هؤلاء عادونا ويعادوننا، ومن الضروري أن نحذرهم وأن نذكر لكل موقفه ونحاسبه عليه كلما سنحت لنا الفرصة واكتملت عندنا القوة. لاشك في أنه يجب أن نحمل كلاً منهم مسؤوليته أمام التاريخ، ونجابهه بها ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً. لا شك في أنه يجب أن نحفظ هذا كله في قلوبنا ونلقنه أبناءنا وأحفادنا، ونعتبره في رسم سياستنا وتديير أمورنا. ولكن يجب أن لا ننسى، في الوقت نفسه، أن السياسة لا تزال قائمة على القوة والمصلحة، وأن كلاً من هذه الدول تتبع مصلحتها أولاً، وأنه لا يكفينا أن نندد أولاً بمواطن الضعف فينا ونحمل أنفسنا ما يترتب عليها من تبعات وما يصيبها من نصيب في نكبتنا الحاضرة. وإذا كان التهرب من الواقع، وإلقاء العبء على الغير، شراً خطراً في الأيام العادية، فهو في أيام المحن والشدائد أصل العلة ومصدر الفساد. وليس أفضل من هذه الأيام فرصة لمحاسبة النفس، ولاستكشاف مواضع الضعف والعمل لمداواتها، أو البدء بذلك على الأقل.

ومن العدل والإنصاف كذلك عند نظرنا في هذه النكبة وتقديرنا لمداها ونتائجها أن نعلم أنها معركة في حرب طويلة الأمد ، وأنتا إذا غلبنا فيها ، فليس معنى ذلك أننا خسرنا الحرب كلها ، أو هُزمتنا هزيمة نهائية لا قيام لنا بعدها .

أجل! إن هذه المعركة فاصلة من وجوه عدّة. فعليها يتوقف تأسيس الدولة الصهيونية أو بطلانها. وإذا خسرنا المعركة بكاملها ، وتأسست هذه الدولة ، فمما لا شك فيه أن اليهود في العالم أجمع سيحشدون قواهم كلها للاحتفاظ بها وتقويتها وتوسيعها كما حشدوها لإنشائها. ولكن التاريخ مليء بالمفاجآت؛ والكيان المفروض بالقوة ، الذي لا يقوم على سنن الطبيعة والاجتماع ، لا يمكنه أن يبقى طويلاً إذا جابهته قوى طبيعية حية متمشية مع مجرى التاريخ.

ولذا ، فلا مبرر لليأس يستولي على نفوسنا ، ويشلّ فعاليّتنا ، وينزع منا ثقّتنا بأنفسنا وبأمتنا ، كما فعل بالكثيرين منا ، فأحدث ذلك التخاذل المعنوي الروحي الذي قلت إنه أشدّ خطراً وأعظم هولاً من الخسارة المادية والهزيمة

الحربية. بل علينا أن نعد للغد عدته، وأن نأخذ للمعركة القادمة أهبتها، وأن نتعلم من أعدائنا النظر البعيد والترتيب المحكم، والخطة المديرة، والسعي الحثيث سنوات، بل أجيالاً، لتحقيق المطلوب وبلوغ الغاية. فما أكثر ما نكب اليهود في تاريخهم، بل ما أكثر ما تعرض كيانهم في فلسطين في السنوات الأخيرة للانهييار والزوال. ولكنهم ظلوا صابرين على المكاره، متحملين الشدائد، واضعين أعينهم على الهدف المنصوب، إلى أن بلغوا ما بلغوه اليوم من قوة وبأس.

تنويه

نعتذر لقراء مجلتنا الأعزاء لما ورد من أخطاء في كتاب الجيب لعدد نيسان كما ننوه إلى أن ثمة قصائد لم تؤخذ من دواوين شاعرنا الكبير نزار قباني وإنما من مهرجانات ونشاطات شعرية متفرقة مما جعل بعض الأبيات الشعرية في قصائد بعينها تظهر وأخرى لم ترد بحسب ما رآه الشاعر مناسباً في أثناء جمعه لنتاجه الشعري إلا أن ذلك لا يعني بأن تلك الأبيات منحوّلة، شاكرين تعاونكم وملاحظاتكم القيمة وآملين - أبداً - أن نكون عند حسن ظن الجميع بنا.

جدول الخطأ والصواب

| الكلمة | الصفحة | الصواب |
|----------------|--------|-------------|
| ودفتری | 36 | ودفاتري |
| الجنونَ | 37 | إن الجنونَ |
| فَلَكِ يَعِيشُ | 37 | فلكي يعيشَ |
| وقباب | 38 | وعتاب |
| والمزركشات | 74 | والزركشات |
| العريس | 78 | العرس |
| الوَهَّابُ | 101 | والوَهَّابُ |
| الشرائح | 103 | الشرائع |
| آبائكم | 110 | آبائكم |
| هداها | 130 | هدَّها |
| فك | 165 | فكك |
| والسَّجَرُ | 176 | والشَّجَرُ |
| الذهاب | 201 | الذهب |

| | | |
|---|--|--------------|
| لُجِبَهُ | 206 | بجبه |
| وورد | 210 | ووردها |
| يقتل الكبيرُ | 219 | تقتل الكبيرَ |
| العينُ | 221 | العيون |
| الهلاك | 223 | الهلال |
| وأطعمناه | 224 | وأطعمناه |
| أوراق | 227 | أورق |
| جي | 228 | حذف |
| أن أحبُّك — وقد تكرر الخطأ لأكثر من مرة في ضبط الكلمة. | 239 — 240 — 241 — 242 — 243 — 244 — 246 | أن أحبُّك |
| ومسجتها | 245 | ومسبجتها |

المحتوى

| | |
|---------|--|
| 5..... | تقديم |
| 39..... | المصادر |
| 41..... | مختارات |
| 43..... | حول كتابه في معركة الحضارة |
| 46..... | وتحت عنوان استجلاء المفاهيم الأساسية وتبعية المفكر |
| 55..... | وحول التفهم الحضاري وأثره في حسن الإدراك |
| 62..... | وأضاف تحت عنوان واجب المفكر |
| 68..... | فداحة النكبة |
| 77..... | تنويه |

**إصدارات سلسلة
كتاب الجيب السابقة**

| م | عنوان الكتاب | تقديم الكتاب | اختيار الكتاب | سنة الكتاب |
|----|--|----------------------|-------------------------------|------------|
| 1 | المقاومة مختارات قصصية | د. حسين جمعة | د. حسن حميد | 2006 |
| 2 | المقاومة مختارات شعرية | د. حسين جمعة | د. حسن حميد | 2006 |
| 3 | القصة القصيرة في سورية الراجلون | د. حسين جمعة | د. حسن حميد | 2006 |
| 4 | علامة الشام أحمد راتب النفاخ | د. حسين جمعة | د. حسن حميد | 2007 |
| 5 | رفقة السلاح ... والقمر | د. حسين جمعة | د. حسن حميد | 2007 |
| 6 | صوت في الظلام قصص ايطالية | د. حسن حميد | د. حسن حميد | 2007 |
| 7 | الخرز الملون خمسة أيام في حياة نسرين حوري - رواية وثائقية | د. حسن حميد | د. حسن حميد | 2007 |
| 8 | الأديب - النص - الناقد / د. طه حسين ميخائيل نعيمة - فؤاد الشاب د. محمود أمين العالم - بدر شاكر السياب | د. خالد البرادعي | د. حسن حميد | 2007 |
| 9 | ظاهرة (الأدب الصهبيوني) / إطلالة على : (المصطلح النشأة الموضوعات) | محمد توفيق الصواف | محمد توفيق الصواف | 2007 |
| 10 | أبو خليل القباني رائد المسرح العربي | د. حسين جمعة | عبد القادر الحصني | 2007 |
| 11 | نازك الملائكة | د. حسين جمعة | عبد القادر الحصني | 2007 |
| 12 | الشاعر محمد الحريري مختارات | د. حسين جمعة | عبد القادر الحصني | 2007 |
| 13 | عبد الله عبد مختارات قصصية | د. حسين جمعة | د. حسن حميد | 2007 |
| 14 | الإصلاحيون أحمد أمين | د. حسين جمعة | د. خالد محي الدين البرادعي | 2007 |

| م | عنوان الكتاب | تقديم الكتاب | اختيار الكتاب | سنة الكتاب |
|----|--|--------------|-------------------|------------|
| 15 | مختارات من أدب الأطفال | د. حسين جمعة | عبد القادر الحصري | 2008 |
| 16 | باليل ونصوص أخرى | د. حسين جمعة | عبد القادر الحصري | 2008 |
| 17 | وداعاً يا دمشق | د. حسين جمعة | عبد القادر الحصري | 2008 |
| 18 | ماري عجمي في مختارات من الشعر والنثر إصدار الرابطة الثقافية النسائية في دمشق 1944م | د. حسين جمعة | عيسى فتوح | 2008 |
| 19 | إنصاف المرأة | د. حسين جمعة | عيسى فتوح | 2008 |
| 20 | أحب الشام ناديا خوست | د. حسين جمعة | عبد القادر الحصري | 2008 |
| 21 | التراب الحزين بديع حقي | د. حسين جمعة | فادية غيبور | 2008 |
| 22 | القصيدة الدمشقية وقصائد أخرى- نزار قباني | د. حسين جمعة | فادية غيبور | 2008 |
| 23 | مختارات من نوح العندليب شفيق جبيري | د. حسين جمعة | فادية غيبور | 2008 |
| 24 | مختارات من أعمال الأديبة غادة السمان | د. حسين جمعة | فادية غيبور | 2008 |
| 25 | مختارات قصصية للأديبة قمر كيلاني | د. حسين جمعة | فادية غيبور | 2008 |
| 26 | مقالات دمشق - مكان وسكان وألوان | د. حسين جمعة | فادية غيبور | 2009 |
| 27 | سميح القاسم - الصورة الأخيرة في الألبوم | د. حسن حميد | د. حسن حميد | 2009 |
| 28 | مقهى الباشورة - خليل السواحري | د. حسن حميد | د. حسن حميد | 2009 |
| 29 | جبرا ابراهيم جبرا- عرق وقصص أخرى | د. حسن حميد | د. حسن حميد | 2009 |
| 30 | محمود درويش - مختارات شعرية من دواوينه والانترنت | د. حسين جمعة | فاديا غيبور | 2009 |

| م | عنوان الكتاب | تقديم الكتاب | اختيار الكتاب | سنة الكتاب |
|----|---|---|---|------------|
| 31 | عائد الي حيفا وأعمال أخرى- غسان كنفاني | د. حسين جمعة | فاديا غيبور | 2009 |
| 32 | عذبة رواية- صبحي فحموي | د. حسين جمعة | فاديا غيبور | 2009 |
| 33 | حكاية الولد الفلسطيني 1971- أحمد دحبور | د. حسن حميد | د. حسن حميد | 2009 |
| 34 | أسئلة الثقافة في القدس والمقاومة- مقالات- المتوكل طه | د. حسين جمعة | د. حسن حميد | 2009 |
| 35 | مختارات من شعر علي الجندي | د. حسين جمعة | محمد حمدان | 2010 |
| 36 | ال جولان في القصة السورية (حضور المكان)- علي المزعل | د. حسين جمعة | فاديا غيبور | 2010 |
| 37 | (الأمريكي) أحمد رفيق عوض | د. حسن حميد | فاديا غيبور | 2010 |
| 38 | ملكوت البسطاء- رواية- خيرى الذهبي | د. حسن حميد | فاديا غيبور | 2010 |
| 39 | مختارات قصصية رقصة ليلة الوداع - رشاد أبو شاور | د. حسن حميد | فاديا غيبور | 2010 |
| 40 | شفيق الكمالي - مختارات شعرية زبير سلطان قنوري | زبير سلطان قنوري | فاديا غيبور | 2010 |
| 41 | الأعلام الشعري في التراث العربي - أحمد سويلم | د. حسين جمعة | فاديا غيبور | 2010 |
| 42 | الظل الثالث وقصص أخرى مختارات قصصية - د. خليفة صالح أحواس | د. حسين جمعة | فاديا غيبور | 2010 |
| 43 | برجيت مأساة تمثيلية ذات خمسة فصول-يوسف نعمة الله جد | د. حسين جمعة | فاديا غيبور | 2010 |
| 44 | انطوان تشيخوف دراسات ونصوص د. شاكرا خصبك | د. ابراهيم الجرادي - عبد العزيز المقالح | د. ابراهيم الجرادي - عبد العزيز المقالح | 2010 |
| 45 | عبد الله البردوني قصائد مختارة ودراسات | د. حسين جمعة | د. ابراهيم الجرادي | 2011 |
| 46 | القصيدة تبحث عن نفسها شعراء التسعينيات والأنماط الشعرية (السائدة) | د. ابراهيم الجرادي | د. ابراهيم الجرادي | 2011 |

| م | عنوان الكتاب | تقديم الكتاب | اختيار الكتاب | سنة الكتاب |
|----|--|-----------------------------|-------------------|------------|
| 47 | مختارات من أدب الخيال العلمي العربي - رقم 004 يأمركم | د. طالب عمران | د. طالب عمران | 2011 |
| 48 | الله والغريب مختارات شعرية سلامة عبيد | فؤاد الكحل | د. ثامر زين الدين | 2011 |
| 49 | ماياكوفسكي غيمة في سروال | مالك صقور | د. إبراهيم الجراي | 2011 |
| 50 | سليمان العيسى- اليأس : أمل يستنسخ أوصافه | د. إبراهيم الجراي | د. إبراهيم الجراي | 2011 |
| 51 | محمد الفراتي مأخوذاً بالوردة والسيف مختارات شعرية | د. حسين جمعة | شاهر امرير | 2011 |
| 52 | نزيه أبو عفش حارس الآلام | د. إبراهيم الجراي | د. إبراهيم الجراي | 2011 |
| 53 | الشاعر العربي الحديث مسرحياً | د. علسي جعفر العلق | د. إبراهيم الجراي | 2011 |
| 54 | حكم النبي محمد ليف تولستوي | مالك صقور | مالك صقور | 2011 |
| 55 | جان جاك روسو المصلح الاجتماعي - محمد عطية الأيرشي | مالك صقور | مالك صقور | 2012 |
| 56 | بدر شاكر السياب- منزل الأفتان | مالك صقور | مالك صقور | 2012 |
| 57 | حي بن يقظان لابن طفيل الأندلسي | د. جميل صليبا- د. كامل عياد | مالك صقور | 2012 |
| 58 | بدوي الجبل (محمد سليمان الأحمد) عام 1968 مدحة عكاش- | د. حسين جمعة | مالك صقور | 2012 |
| 59 | ابن الرومي حياته من شعره ج 1 عباس محمود العقاد | مالك صقور | مالك صقور | 2012 |
| 60 | ابن الرومي حياته من شعره ج 2 عباس محمود العقاد | مالك صقور | مالك صقور | 2012 |
| 61 | كان ما كان - مبخاتيل نعيمة | مالك صقور | مالك صقور | 2012 |
| 62 | إمرأة من برج الحمل - اعتدال رافع | ماجدة حمود | ماجدة حمود | 2012 |
| 63 | من النكبة إلى المقاومة والتجديد | مالك صقور | مالك صقور | 2012 |

| م | عنوان الكتاب | تقديم الكتاب | اختيار الكتاب | سنة الكتاب |
|----|---|---------------------|------------------|------------|
| 64 | الأعاصير - الشاعر القروي رشيد سليم الخوري | د. حسين جمعة | د. تانرزين الدين | 2012 |
| 65 | عبد اللطيف عقل دراسات ومختارات | ياسين فاعور | ياسين فاعور | 2012 |
| 66 | حكيم الدهر أبو العلاء المعري | مالك صفور | مالك صفور | 2012 |
| 67 | الإصدار الأول للموقف الأدبي | مالك صفور | مالك صفور | 2012 |
| 68 | عقريات العقاد (دراسة وتحليل) | مالك صفور | د. حسين جمعة | 2013 |
| 69 | الإشترابية والأدب | مالك صفور | د. حسين جمعة | 2013 |
| 70 | رباعيات عمر الخيام | أ.د. حسين جمعة | مالك صفور | 2013 |
| 71 | طبائع الاستبداد ومصارع الاستعباد | أ.د. حسين جمعة | مالك صفور | 2013 |
| 72 | ليس لدى الكولونيل من يكاتبه | | مالك صفور | 2013 |
| 73 | ما الشعر العظيم؟ | د. نزار بريك هندي | د. حسين جمعة | 2013 |
| 74 | الشعر بين الفنون الجميلة | أ.د. حسين جمعة | مالك صفور | 2013 |
| 75 | الفقه والتصوف والمسائل الشرعية في الخلافة | أ. محمد راتب الحلاق | مالك صفور | 2013 |
| 76 | صالح العلي ثائراً وشاعراً | أ.د. حسين جمعة | مالك صفور | 2013 |
| 77 | أبو القاسم الشابي شاعر الشباب والحرية | أ.د. حسين جمعة | مالك صفور | 2013 |
| 78 | أنا من سلالة الصخور | د. نزار بني المرجة | مالك صفور | 2013 |
| 79 | الأديب والمفكر أبو حيان التوحيدي | د. نزار بني المرجة | مالك صفور | 2013 |
| 80 | الأدب للشعب | أ.د. حسين جمعة | مالك صفور | 2014 |
| 81 | مدبح الظل العالي | أ.د. حسين جمعة | مالك صفور | 2014 |
| 82 | معارك فكرية | أ.د. حسين جمعة | مالك صفور | 2014 |

| سنة الكتاب | اختيار الكتاب | تقديم الكتاب | عنوان الكتاب | م |
|------------|----------------|----------------|---------------------------------------|-----|
| 2014 | أ.د. حسين جمعة | مالك صقور | واقعية بلا ضفاف | 83 |
| 2014 | أ.د. حسين جمعة | مالك صقور | كيف تعلمت الكتابة | 84 |
| 2014 | أ.د. حسين جمعة | مالك صقور | السيف والترس | 85 |
| 2014 | أ.د. حسين جمعة | مالك صقور | بعث الأمة العربية ورسالتها إلى العالم | 86 |
| 2014 | أ.د. حسين جمعة | مالك صقور | الغريبال | 87 |
| 2014 | مالك صقور | أ.د. حسين جمعة | الله | 88 |
| 2014 | أ.د. حسين جمعة | مالك صقور | عصا الحكيم | 89 |
| 2014 | مالك صقور | أ.د. حسين جمعة | الفارابي | 90 |
| 2014 | مالك صقور | أ.د. حسين جمعة | الأدب الثوري عبر التاريخ | 91 |
| 2015 | مالك صقور | أ.د. حسين جمعة | المسألة اليهودية | 92 |
| 2015 | أ.د. حسين جمعة | مالك صقور | مذكرات مستر همفر | 93 |
| 2015 | أ.د. حسين جمعة | مالك صقور | صوت أبي العلاء | 94 |
| 2015 | رضوان قضملي | مالك صقور | فن الأدب (جزء 1) | 95 |
| 2015 | رضوان قضملي | مالك صقور | فن الأدب (جزء 2) | 96 |
| 2015 | مالك صقور | أ.د. حسين جمعة | الإسلام بين العلم والمدنية | 97 |
| 2015 | مالك صقور | مالك صقور | حكيم الدهر أبي العلاء المعري | 98 |
| 2015 | مالك صقور | شاهر أحمد ناصر | شظايا من عمري | 99 |
| 2015 | مالك صقور | أ.د. حسين جمعة | لماذا تأخر المسلمون ولماذا تقدم غيرهم | 100 |
| 2015 | مالك صقور | | الدين والعلم والمال | 101 |

| سنة الكتاب | اختيار الكتاب | تقديم الكتاب | عنوان الكتاب | م |
|------------|----------------|------------------------|--|-----|
| 2015 | د. نضال الصالح | نذير جعفر | غاية الحق (أفق التنوير وجماليات السرد) | 102 |
| 2015 | د. نضال الصالح | نذير جعفر | في الحياة والأدب | 103 |
| 2016 | د. نضال الصالح | مالك صقور | إن الأدب كان مسؤولاً | 104 |
| 2016 | عيسى فتوح | د. نضال الصالح | أسرة المراثى الأدبية في حلب | 105 |
| 2016 | مالك صقور | مالك صقور | الجوهر الرجعي للصهيونية | 106 |
| 2016 | د. نضال الصالح | د. نزار بريك هندي | سريال وقصائد أخرى | 107 |
| 2016 | مالك صقور | إسماعيل الملحم | حضارة الطين | 108 |
| 2016 | مالك صقور | نذير جعفر | ضرورة الفن الجزء الأول | 109 |
| 2016 | مالك صقور | نذير جعفر | ضرورة الفن الجزء الثاني | 110 |
| 2016 | مالك صقور | فلك حصرية | قادة الفكر | 111 |
| 2016 | مالك صقور | حكمت إبراهيم هلال | جرانم تركيا في سوريا والعراق والحجاز ولبنان | 112 |
| 2016 | مالك صقور | إسماعيل الملحم | خارج الحريم | 113 |
| 2016 | ثامر زين الدين | ثامر زين الدين | عيسى عصفور (بلاغة البازلت) | 114 |
| 2017 | د. نضال الصالح | د. نزار بنسي المرجة | رحلة الشام لإبراهيم عبد القادر المازني | 115 |
| 2017 | مالك صقور | د. ناديا خوست | (عملاء النفوذ) وتفكيك الاتحاد السوفييتي | 116 |
| 2017 | مالك صقور | حكمت براهيم هلال | المذابح في أرمينيا | 117 |
| 2017 | فلك حصرية | فلك حصرية | نزاريات... أيقونة الحب... والوطن | 118 |
| 2017 | ثامر زين الدين | ثامر زين الدين | من ديوان الجرح السوري | 119 |
| 2017 | مالك صقور | مالك صقور | الله والفقر | 120 |

